كتاب

أشهر ملاحم الشعر العالمي

د. سيد غيث

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لدار الأديب للنشر والتوزيع

اسم الدار	دار الأديب للنشر والتوزيع
اسم الكتاب	أشهر ملاحم الشعر العالمي
اسم الأديب	سيد غيث
رقم الإيداع	(٢٠١٩/٣٤٥١) بدار الكتب المصرية
الترقيم الدولي	978-977-85435-6-8
الإخراج الصحفي	دار الأديب. (إيهاب القاضي)
الغلاف	من تصميمات الدار. (محمد يحيى)

الإهداء..

الى روح أمي التي مازالت ترعاني

وهي عند مليكٍ مقتدر ..

المقدمة :

كانت العرب من أحرص الملل على علوم الادب واحفظهم للشعر واشغفهم بالنظم..والأدب بصفة عامة فهو نتاج قريحة العقل الإنساني في أقصى لحظات قدرته على التعبير عن العالم المحيط به ومفهوم الأدب في أعلى تجلياته فلا يبسط من تعقيدات الوجود وإنما يوسع من أذهاننا ويرهف لدينا الحس الادبي إلى الحد الذي يجعلنا نستوعب آراء الكاتب أو آراء شخصياته. وهكذا فإن الإجابة عن سؤال لماذا نقرأ الأدب..لأنه يغني حياتنا بطريقة وجدانية لا تتسنى بأخرى وإنه يجعلنا أكثر إنسانية... ومن هنا كانت أهمية أن نتعلم كيف نقرأه على النحو الصحيح فنقرا لكل انواع الاب العربي او العالمي منه كي نقف على ناصية الثقافة المنوعة المتواجدة في شتى الوان الأدب العربي والعالمي لنكون مكتبة ثقافية يذخر بها العقل....فينموا وعليه نستطيع أن نقف على مجريات الامور بالحكمة والموعظة الحسنة ..

وتعرف الملحمة الشعرية على أنها حكاية بطوليّة طويلة مليئة بالأحداث، تصف المعارك الحربية وبطولات فائقة لأشخاص غير عاديين

في الحرب، أو تخبر عن حركة جماعات بأكملها، أو تقصّ حكايات شعب من الشعوب في بداية تاريخه بأسلوب قصصي موضوعي مصوّر، وقد تدخل الأسطورة في نسيج الملحمة، وقد سنّ النقاد الإغريقيون والرومانيون قواعد لكتابة الملاحم الشعرية، مستقاة من أسلوب هوميروس وأسلوب فرجيل .

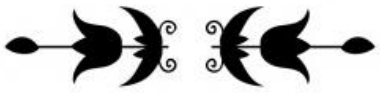

الملحمة الأولى :

الإلياذة أو ملحمة طروادة الخالدة

والإلياذة هي: أشهر ملاحم الشعوب القديمة قاطبةً، وقد أجمع على ذلك النقاد ومؤرخو الأدب وأجمعوا على أنها زميلتها وقرينتها في الشهرة ملحمة "الأوديسة" هي من تأليف الشاعر الإغريقي القديم هوميروس. وأجمع أكثرهم على أن أحداث الإلياذة وقعت حوالي منتصف القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح، ولكنهم يختلفون حول شخصية هوميروس نفسه بعضهم يقول إنه لم يكن هناك شاعر بهذا الاسم أصلاً، وبعضهم يقول أن هوميروس شاعر عاش في القرن التاسع قبل الميلاد. أما هيرودتس فيقول أن هوميروس كان من مدينة خيوس القديمة في ولاية يونانية على ساحل الأناضول اسمها ايسونيا ويقول أن هوميروس عاش في القرن السابع قبل الميلاد.

والالياذة..هي: أسطورية (إغريقية) تحكي قصة حصار طروادة وتلك الحرب الطاحنة في عالم يتميز بالتعددية الإلهية وما بينها من صراعات تمثل الإلياذة أقدم أثرا أدبيا يونانيا وهى عبارة عن ملحمة

شعرية بلغت(أبياتها ستة عشر ألف) موزعة داخل أربعة وعشرين كتاباوهي أهم ملحمة شعرية إغريقية

للشاعر الأعمى (هوميروس) المشكوك في وجوده أو أنه شخص واحد الذي كتب الملحمة وتاريخ الملحمة يعود إلى القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد. وهي عبارة عن نص شعري. ويقال أنه كتبها مع ملحمته الأوديسأ. وقد جمعت أشعارها (عام٧٠٠ قبل الميلاد) بعد مائة عام من وفاته.

وهى تروي قصة حصار مدينة طروادة ويرجح ظهورها إلى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد وهي تنقسم كالأوديسا المنسوبة إلى الشاعر نفسه إلى أربعة وعشرين جزءاً) تُعَالج فيها حادثة واحدة من السنة العاشرة للحرب بين الحلف اليوناني والحلف الطروادي وتمتد هذه الحادثة طوال واحد وخمسين يوماً. وترتبط بغضب بطل أبطال اليونان(أخيل) لخطأ ارتكبه قائد الحلف اليوناني (أجاممنون) بحق كاهن أپولون الطروادي فسلبه ابنته بريسيس وجعلها حظيته.. مما دفع الكاهن إلى اللجوء إلى الرب أپولون المنحاز أصلاً إلى جانب الطرواديين.. فاستجاب له بأن

سلّط وباء على اليونانيين أجبر أگاممنون على الإذعان لضغوط أخيل وأتباعه بإعادة الفتاة إلى أبيها، شريطة أن يتنازل أخيل لأغاممنون عن حظيته بريسئيس. غضب أخيل لهذه الإهانة المشينة، لكنه امتثل للظرف القاهر ثم اعتصم في خيمته ممتنعاً عن المشاركة في القتال، فاشتكت أمه الربة (ثيتس) إلى أبيها (زيوس)كي ينتقم لابنها فوافق وضلل (أجاممنون).

معنى كلمة الياذة :

وكلمة (إلياذة) هي نفسها كلمة (أللليوس) وتعني:(القسم القديم لمدينة طروادة) . وتدور حول ملحمة (المسيني أخيل) الذي أبحر لطروادة من بلاد الإغريق لينتقم من (باريس) الذي قام بغواية هيلين زوجة الملك منيلاوس ملك أسبرطة ومن ثم هرب معها إلى طروادةفقام الإغريق بتجهيز حمله ضخمة للثأر بقيادة أجاممنون أخو(منيلاوس) وقد هاجم جيش إمبراطور طروادة (والأوديس) تروي قصة الأمير الإغريقي((أوديسيوس)) (أوليس)عند عودته من طروادةوالتي تعرض فيها للعديد من الأخطار مع طاقم سفينته.

وكانت قصائد هوميروس من الأدب الشعبي وكانت تروى شفاهة وكانت تضم هاتين الملحمتين اللتين نسج على منوالهما الشعراء (فيرجيل للانيادة) باللاتينية ودانتي بالإيطالية وجون ميلتون بالإنجليزية ملاحمهم.

عدد أبيات الشعر بالالياذة:

يجمع العلماء أن هذه الحرب الضروس التى تصور الالياذة جزءاً هاماً منها وقعت فى الفترة من العام ١١٨٣ الى العام ١٢٨٠ ق.م فيما كتب هوميروس تلك الملحمة الخالدة بعد ذلك بثلاثة قرون، ويجمعون على أن هوميروس أهم، شعراء الأغريق، كان عبقريا وكان ضريراً، وأنه صاغ الالياذة في(١٦ ألف بيت من الشعر الملحمى على الوزن السداسي) الذي تتكون تفعيلته من ست حركات موزعةعلى ثلاثة مقاطع.

الشخصيات الرئيسية للالياذة :

- هيلين زوجة مينلاوس
- باريس بن بريام
- أخيل
- هيكتور
- أجاممنون
- بريام ملك طروادة

ما حكيى عن قصة الالياذة :

دعيت ..(هيرا وأثينا وأفروديت) إلى عرس ثيتس ولم تكن ايريس (الهة النزاع) قد دعيت إلى هذا العرس، فخنقت وألقت بين المدعوين تفاحة ذهبية مكتوب عليها (للأجمل) لتثير بينهم النزاع، وقام النزاع فعلا بين الألهة الثلاث أيهن أحق بهذه التفاحة. وحسما للنزاع قرر زيوس أن يلجأ إلى تحكيم أجمل البشر من الرجال ألا وهو باريس بن بريام ملك طروادة وكان يعيش في تلك الأثناء فوق جبل أيدا، انتقل إليه هيرمس وأعلن إليه النبأ وأحضر أمامه الالهات الثلاث، وسعت كل واحدة منهن

أن تستعطفه، وتستميله إلى جانبها لتكونَ التفاحة من نصيبها فوعدته هيرا بالعظمة الملكية، ووعدته أثينا بالنصر في الحروب وعدته أفروديت بأجمل نساء العالم (ليتزوجها) فحكم لهذه الأخيرة بالتفاحة... وبمعونة أفروديت استطاع أن يصل إلى هيلين زوجة مينيلاوس (الأخ الأصغر لأجاممنون ملك مملكة أرجوس، واستطاع أن يفر، ويهرب بها خلسة، وبهذا جلب على نفسه عداء الآلهتين السابقة الإشارة لهما (هيراو أثينا، كما ثارت ثأئرة كل خطاب هيلين السابقين، الذين اتفقوا، وأقسموا على احترام اختيارها لأحدهم ليكون زوجا لها. من هنا يبدأ الصراع ((و تنقسم الآلهة، ويتبادلون الشتائم بينهم، بعضهم يساعد اليونانيين والبعض الآخر يساند الطرواديين)). و هكذا أعلنت حرب طروادة وتحققت زيوس الذي رأى ضرورة انقاص العدد المكون للجنس البشري المتزايد بصورة مدهشة. أعدت السفن، وانضمت الجنود وتأهبت للرحيل تحت قيادة أجاممنون البطل العظيم... فوصلت أخبار الجيش العرمرم إلى الطرواديين فاستعد رجالها وهبوا، وانتشروا هنا وهناك استعدادا لمجابهة العدو، فدقت الطبول، دوى النفير، ووصل الاغريق وضرب حصار

محكما، منيعا حول جميع أسوار طروادة، وتوالت المعارك واستمرت وكبدت الجانبين خسائر فادحة، ودام الحصار عشر سنوات مليئة بالانكسارات، والهزائم... تبدأ حوادث الاليادة بأن يأسر أجممنون بنت قسيس للاله (أبولو) اسمها كريزيس، ولهذا يتفشى الطاعون في جيش اليونان، ويقبل أجممنون أن يرد الأسيرة، على أن شرط أن يأخد مكانها بريزيس أسيرة أخيل (أخيليوس باليونانية) فيغضب هذا الأخير وينسحب بجنده(المرميديون وصديقه باتروكلوس من الحرب، فيضعف الجيش، ويهزمون شر هزيمة...، ويعترف أجممنون بخطيئته ويرسل الرسل لمصالحة أخيل الذي يرفض رفضا قاطعا، لأنه كره هذه الحرب الطويلة الأمد، ويصرح بأنه سيبحر غدا مع أتباعه إلى اليونان لكن نصيحة أثينا تجعلهم يتمسكون بها ولا يخرجون عنها، وتتوالى هزائم اليونانيين، ويخجل باتروكلوس فيستأذن أخيليوس في الاشتراك في الحرب مع جنده، فيأذن له أخيل ويعيره سلاحه ويهزم الطرواديين اثر ذلك، غير أنه يقتل على يد هكتور فيندم أخيل على استسلامه لغضبه، ويفكر في الانتقام لصديقه، فيصالح أجممنون، ويشارك في الحرب للانتقام من هكتور قاتل

صديقه فيقتل هكتور ويمثل بجثته، ويأتي إليه بريام الملك الهرم، ويرجوا منه أن يسلمه جثة هكتور، وكانت قد بلغت الوحشية من أخيليوس أنه أراد رمي الجثة إلى الكلاب، ولكن سرعان مارق قلبه وسلم جثة هكتور إلى أبيه الهرم شفقةً به.

مدة الحرب الطروادية :

تعد «الإلياذة» أحد أعظم ملاحم الأدب الغربي الكلاسيكي، حيث أرسى بها «هوميروس» أسس الشعر الملحمي شكلًا ومضمونًا. وتُمثل الإلياذة الرؤية الملحمية الشعرية لحرب طروادة، وهي حربٌ نشبت بين اليونانيين والطرواديين مدة عشر سنوات.

أحداث الالياذة :

تبدأ احداث الالياذة عندما وقعت (هيلين) الفاتنة زوجة الملك العظيم (منيلاس) ملك اسبرطة القوية في حب «باريس» نجل « بريا » ملك طروادة التي كانت تنافس اسبرطة في ا لجاه والنفوذ وحينما نفذت سهام كيوبيد بين الاثنين أثناء زيارة باريس لاسبرطة مبعوثاً من والده تبلورت خطة اختطاف هيلين واصطحابها إلى (طروادة) وقد ذهبت معه مختارة

طائعة بعد أن ربط الحب قلبيهما.ولم يقف الزوج المطعون الملك « امنيلاس » ساكناً إزاء الإهانة البالغة التي لحقت به وبشعبه وبلاده، فحشد جيشاً عظيماً زحف به إلى طروادة عازماً على دك حصونها ورد الزوجة المخطوفة أو الهاربة، وقد تحالف معه في ذلك ملوك اليونان الذين عز عليهم ما حدث لصديقهم .

معنى اسم هوميروس:

« هوميروس » تعني باللغة الإغريقية ((الرهينة أو الأعمى)) وهو أكبر شاعر عرَفته الحضارة الإغريقية وصاحب ((الإلياذة)) و((الأوديسة)).يَعُدُّهُ القدماء شخصية تاريخية يُشكِّك الباحثون والعلماء المعاصرون في وجوده التاريخي أصلًا حيث لا توجد ترجمات موثوقة من الحقبة الكلاسيكية تتحدث عن سيرته.. وقد اصطلح المؤرِّخون فيما بينهم على تسمية هذا الجدل الكبير حول هوميروس واختلفوا على وجوده..وحياته وأشعاره واسموا هذه الجدلية بالمسألة الهوميرية .

الجدل حول الالياذة :

(الإلياذة) هي أشهر ملاحم الشعوب القديمة وقد أجمع على ذلك النقاد ومؤرخوالأدب ..وتعتبر مثار للجدل على مر العصور بين من ألفها اهم مجموعة من الشعراء وبين أن (هوميروس) هو مؤلفها ناهيكم عن الجدل المثار حول شخصية هوميروس هل يوجد شخص بهذا الاسم من عدمه.تاريخ(الإلياذة) والجدل المثار حولها وقيمتها الفنية والعلمية و التاريخية وفي هذه الملحمة الخالدة صورة وافية لحياة الطروادبين في الحصار، وما يسود المحاربين من روح الفروسية.

أول اصدار للالياذة باللغة العربية :

صدور ملحمة الإلياذة للشاعر الإغريقي هوميروس في صيغتها العربية الأولى في العام ١٩٠٤ حدثًا نهضويًّا بارزًا، فإن صدورها في صيغة عربية جديدة، انطلاقًا من اللغة اليونانية مباشرة، هو بمثابة حَدَثٍ معاصر. وقد بدت الترجمة الجديدة أشبه بالاحتفاء بالترجمة الأولى بعد مرور مئة عام على صدورها. واللافت في هذين الحدثين أن القاهرة هي التي أطلقتْهما عربيًّا .

أول عربي يترجم الالياذة:

مترجم الصيغة الأولى للالياذة هو الشاعر اللبناني سليمان البستاني .

المدة التي ترجمت فيها الالياذة لأول مرة الى العربية:

عكف البستاني وحده على تعريب الإلياذة ما يقرب من العشرين عاماً متصلة .

عندما صدرت ترجمة سليمان البستاني في العام ١٩٠٤ تبنَّتْها القاهرة وكرَّمت الشاعر–المترجِم؛ والتفَّ من حوله حينذاك روَّادُ النهضة الحديثة، من أمثال الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وأحمد شوقي وخليل مطران وإبراهيم اليازجي وجرجي زيدان وسواهم. وكتب الشيخ محمد عبده إلى البستاني قائلاً: "تمَّتْ لك ترجمة الإلياذة، ونسجتْ قريحتُك ديباجة ذلك الكتاب، فإذا هو ميدان غَزَتْ فيه لغتُنا العربية ضريعتَها اليونانية فسَبَتْ خرائدَها وغَنَمَتْ فرائدَها."

جزء من الالياذة بالترجمة العربية :

ربة الشعر عن آخيل بن فيلا *** انشدينا واروي احتداما وبيلا

ذاك كيد عم الاخاء بلاه *** فكرام النفوس الفت افولا

لاذيس انفذن منحدرات *** وفرى الطير والكلاب القيولا

ثم ما شاء زفس من يوم شبت *** فتنة بالشقاق تنذر اولى

بين اتريذ سيد القوم ثارت *** بصلاها والمجتبى آخيلا

آي رب قضى فما غير فيبوس *** وزفس ونكلا تنكيلا

فابن لاطونه باتريذ رام السوء *** مذ سامه جفاء ثقيالا

فدهي جيشه بشر وباء *** فغدت جنده تخر فلولا

مذ اهان المليك كاهنه الهم *** خريسا لما اتى الاسطولا

يفتدى بنته بغر الهدايا *** وجميع الاغريق يدعو ذليلا

سيما العاهلين من ولد اترا *** ولقد قل صولجانا اثيلا

عسجديا اعلام ذي النبل فيبوس *** عليه بدت تجر ذيولا

منحتكم آل الالمب اعتزازا *** قهر فريام ثم عودا جليلا

مقارنة ما بين ترجمة البستاني الكلاسيكية والترجمة المصرية:

الترجمة النثرية التي تبنَّاها "المجلس الأعلى للثقافة فالأولى صاغها البستاني شعرًا عموديًّا، فيما صيغت الثانية نثرًا، على غرار الترجمات العالمية في قوالب الشعر الحر الحديث لكن الترجمة الجديدة أقرب إلى القارئ، ولاسيما القارئ المعاصر وعلى الرغم من أن قراءة الترجمة الأولى، الكلاسيكية الطابع باتت على قدر من الصعوبة، تبعًا لصوغها نظمًا و"صناعتها" العَروضية المتينة القائمة على "المماثلة" بين اللغتين، الإغريقية والعربية؛ ناهيك عما تعج الإلياذة أصلاً من أسماء وتواريخ وعلوم قد نَسَجَها البستاني داخل البنية السردية المركَّبة. وقد ضمَّتْ صياغتُه العربية أحد عشر ألف بيت، فيما تتكون الإلياذة من ستة عشر ألف بيت في أصلها الإغريقي.

أجزاء من الالياذة بالترجمة النثرية :

أشعِلوا النيرانَ في كل مكان ولْيصعدْ ضوؤها إلى السماء

خشيةَ أنْ يقفز اليونانيون ذوي الشعر الطويل ليلاً

في عرض البحار لكي يهربوا...

لن يكون لدى أحدٍ سهمٌ، حتى، ليهضمه

حتى يهاب الجميع

من تكبيد الطرواديين مُروِّضي الخيول حربًا تبعث على البكاء

★★★

الآن وقد تلقَّيتُ من ابن كرونوس الماكر

المجدَ لدى المراكب التي تحشر اليونانيين في البحر

أيها الأحمقُ! لا تقدِّمْ نصائحَ كهذه أمام الشعب.

فلن يسمعَكَ أيُّ طروادِيٍّ؛ ولن أسمحَ أنا بذلك

هكذا تكلَّم هكتورُ، وهتف له الطرواديون.

★★★

يا للحسرة لو مررتُ خلف الباب والسور

لخجلتُ أولاً من "پوليداماس "

الآن وقد فقدتُ أهلي بسبب جنوني،

أخشى الطرواديين والطرواداتِ ذواتِ الحجاب اللواتي

يسحبْنه خلفهنَّ

وأخشى أنْ أسمعَ أقلَّهم مني شجاعةً يقول:

هكتورُ، الذي كان واثقًا بقوَّته أكثر مما ينبغي، قد خسر بلدَه

لو أني، مع ذلك، ألقي درعيَ المحدَّب

وخوذتي الجيدةَ، ولو أني، وأنا أسند رمحيَ إلى السور

أذهب نحو أخيلَ الشهيرِ، أذهب إلى لقائه..؟

ولكنْ لماذا أذَنْ يُسْدي إليَّ قلبي هذه النصائحَ..؟

لن أقتربَ منه؛ فلن يرحم،

ولن يراعيَ؛ سيقتلني ولو كنتُ كذلك عاريًا

كامرأة..

★★★

أين ذهبَتْ تبجُّحاتُنا عندما كنا نُظهِر شجاعتَنا

وأنتم تأكلون حتى التخمة لحمَ العجول ذات القرون المستقيمة

وتشربون كؤوسَ خمرٍ دِهاقًا؟

بأنَّ واحدَنا أمام مئةٍ أو مئتَينِ من هؤلاء الطروادیين

سيصمد في المعركة، وهاهو واحد كثير علينا..!

★★★

آه.. الموتَ حالاً إنْ كان صديقي لا بد أنه

مات دون مساعدتي! بعيدًا عن وطنه

هلكَ، ولم أكنْ معه لإبعاد الموت...

الآنَ أذهب لملاقاة القاتل ذي الرأس الغالي

هكتور؛ إنَّ الموت أستقبله حينما

يريد زيوسُ أنْ يتمَّه وجميعُ الآلهة الأخرى

★★★

يا أخيلُ؛ ارأفْ بحالي، أشفِقْ علَيَّ؛

أنا هنا متضرعًا، يا ابنَ زيوس، الجدير بالاحترام.

لأنني أول واحد عندك أكلْتُ خبزَ ديميتر

في ذلك اليوم الذي أخذْتَني فيه إلى بستاني المزروع بعناية

وبِعْتَني، بإرسالي بعيدًا عن أبي وأهلي،

إلى لِمْنوسَ المقدَّسة؛ قدَّموا لكَ من أجلي تضحيةً بمئة ثور

وفُديتُ ثلاثَ مرات أخرى؛ فهذا الفجر أصبح عندي

الفجر الثاني عشر منذ أنْ عدتُ إلى إليون

بعد كثير من الآلام. لا بد أنني كنتُ ممقوتًا عند زيوس الأب

الذي سلَّمني من جديد إليك؛ فلقليلٍ من الحياة

★★★

هيَّا يا صديقي، متْ أنتَ أيضًا..

لِمَ تشكو إلى هذا الحد..؟

لقد مات أيضًا پاتروكلُ، وكان خيرًا منكَ

وأنا، ألا ترى ما أجملني وأكبرني..؟

أنا من عِرْق نبيل، أمي كانت إلهة

ولكنْ كُتِبَ علَيَّ الموتُ والقدَرُ القاسي

سيكون الوقتُ فجرًا أو مساءً أو منتصفَ النهار

عندما ينتزعون مني أيضًا بالسلاح حياتي

★★★

كأنما انقضَّ عليهم أسدٌ يريد قتلَ أبقار

ترعى على مرج موحل واسع

بالمئات...؛ جميعها ترتعد خوفًا؛ كذلك كان الآخيون

يشتمون في ذعر مهزومين من هكتور

وزيوس الأب جميعًا.

مثلما يحدث عندما تسقط النارُ المدمرة على غابة كثيفة

أينما تدور الريح تحملها؛ وهكذا، فالجذوع

المقلوعة تسقط تحت ضغط النار العنيفة

كذلك كان أغاميمنون الأتريدي يجعل الرؤوسَ تتساقط،

رؤوسَ الطروادیين الذين كانوا يهربون

★★★

زوجي، لقد مِتَّ قبل تقدُّمِكَ في السن، شابًا جدًا؛ وأنا، أرملتَكَ

تركني وحيدةً في بيتي؛ ومازال طفلُنا صغيراً

ذلك الطفلُ الذي أنجبناه أنتَ وأنا، نحن التعساء

ولا أظنُّ أنه سيكبر أبدًا

لأنكَ، وأنتَ على فِراش موتِكَ، لم تمدُدْ لي يديكَ

ولم تقلْ كلمةً رصينة، حتى دائمًا

أفكرَ بها ليلاً نهارًا وأنا أذرف الدموع..!!

فمَن يقرأ الإلياذة بترجمتها النثرية الجديدة يشعر أنه يقرأ، على خلاف

ترجمة سليمان البستاني، نصًّا سرديًّا (ميثولوجيًّا) هادرًا كالنهر. وقد

تجذب هذه الترجمةُ القارئ المعاصر، كونها منقولة عن الإغريقية مباشرة.

فهذه الترجمات تعتمد على النثر في ما يتيح من حرية في التصرف اللغوي والبناء والسرد. ولعل العمل الجماعي الذي قام به فريق من المترجمين المصريين، المتخصِّصين في الأدب اليوناني ساعد على مواجهة الغموض الذي يكتنف هذا العمل الملحمي الخالد بخلود الأدب النابض في القلوب الى يوم يبعثون .

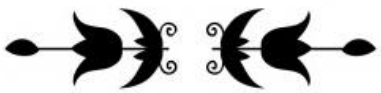

الملحمة الثانية

الأوديسة

الأوديسة هي: ملحمة شعرية وضعها هوميروس في القرن (الثامن قبل الميلاد). وتتكون من(٢٤ جزئا) وهي ملحمة شعرية تتكون من حوالي اثني عشر ألف بيت،كتبها هوميروس الأوديسة هي الملحمة التي خلدت اسم هوميروس أكثر من الإلياذة هي قصة عودة المحارب أوديسيوس إلى مملكته إيتاكا بعد حرب طروادة ..

معنى كلمة أوديسة:

جاءت التسمية ماخوذة من اسم الأمير الإغريقي (أوديسيوس) بطل القصة في الملحمة الاغريقية (الاوديسة) والتي كتبها الشاعر هوميروس.

أحداث الأوديسة :

كانت البداية فى طروادة حين أنتصر الإغريق وخربوا المدينة ونهبوا كنوزها نسوا أن يقدموا القرابين (لبوسيدون إله البحار) فقرر أن يعاقبهم في عودتهم وهي تروي مغامرات(أوليس) البحرية وهو يجوب أصقاع وشواطئ مجهولة حتى وصل إلى العالم السفلي ونزول

(أوديسيوس) إلى عالم الموتى كي يلتقي الكاهن تيريسا كي يساعده بنصائحه وتوجيهاته في العودة إلى أرض الوطن .

وتبدأ الملحمة بنهاية حصار طروادة وبدء عودة المحاربين إلى بيوتهم لكن بسبب غضب إله البحر بوصيدون على أوديسيوس تمتلئ رحلته و بالمشاكل التي يضعها في طريقه بوصيدون أو بسبب تهور بحارته. يبقى في رحلته مدة عشر سنوات يواجه خلالها الكثير من المخاطروطوال هذه الفترة تبقى زوجته بينيلوبي بانتظارممتنعة عن الزواج، رغم العروض الكثيرة التي تتلقاها، خاصة بعد وصول أغلب المحاربين في حرب طروادة ما عدا زوجها. تنتهي الملحمة بوصوله إلى(إيثاكا) وقيامه بالانتقام من الذين اضطهدوا زوجته بتلك الفترة ..

الفارق بين الإلياذة والأوديسة :

- (الإلياذة)..استطاع هوميروس ببراعة متناهية أن يفصل بين فكره كشخص

وآرائه وبين كتاباته واستطاع أيضاً أن يظهر عدة نماذج وشخصيات وطبيعتهم الإنسانية وصراع الخير والشر والحب والكراهية والتضحية

والمؤازرة ومختلف المشاعر المتضاربة التي تدور بداخل النفس البشرية حتى الإلهة وتدخلاتها أضفى عليها الطابع الإنساني والمشاعر الإنسانية بل في بعض الأحيان كان يهزأ منهم ومن أبطاله أيضاً..

- أما بالنسبة (للأوديسة) ..فهي تمثل قدرات الإنسان الخارقة في اقتحام المجهول والصراع مع الطبيعة، حيث تُظهر أن الصراع بين البشر والآلهة التي

تمثل عنف الطبيعة صراع دائم.ونحن نرى بوضوح معاني وصفات كثيرة تحويها شخصية (أوديسيوس) منه قيادة وإحساسه بمسئوليته نحو بحارته والإصرار والعزيمة على النجاة والعودة والحنين والشوق للزوجة والوطن والشجاعة في مواجهة المخاطر ..

جزء من الاوديسة :

بذاك الغراب استطار الوحي *** (وفطرقل) نحو اخيل عدا

تساقط عيناه دمعا سخينا *** كاسحم ماء بصخر جرى

فهزت اخيل لرؤيته *** عواطف رفق وفرطاسى

فمال اليه وقال اذن *** افطرقل قل لي علام الشجى

شهقت كطفل جرت تسرع *** ومن دونها امهما تهرع

فتعلق في ذيل اثوابها *** ومقلتها صببا تلمع

وترسل طرفا بليلا اليها *** عساه بذلتها يشفع

وتجذبها وهي ضارعة *** لتحملها فتكف البكا

اعندك من افثيا خبر *** له قومنا وانا نذعر

فان منتيوس مازال حيا *** بذلك قد انبا الاثر

وفيلا كذا (بمرامده) *** عزيز وامرته ائتمروا

هما لا شك موتهما *** بلاء علينا واي بلا

رأى الباحثين في النصين (الالياذة والأوديسة)

يرى بعض الباحثين المحدثين أن الأوديسة لا يمكن أن تنسب إلى الشاعر نفسه الذي صاغ الإلياذة ويجزمون في الأمر لسببين:أولهما اختلاف صورة الإنسان جذرياً بين العملين، وثانيهما اختلاف العلاقة بالآلهة. صحيح أن الآلهة في الأوديسة ما زالت ظاهرياً هي نفسها المعروفة ..(بالمرحلة الهوميرية) ..

يقول الكاتب والمترجم اللبناني (سليمان البستاني) مترجم الالياذة ان بين الاوديسة والالياذة شبها كبيرا في النهج والسياق مما يدل غلى ان الناظم للملحمتين ما هو الا كاتب واحد فكلتاهما قائمة على اساس بسيط مرجعه الى موضوع واحد. وكل واحدة من الملحمتين منحصرة الوقائع في ايام قليلة في منصرم أعوام طوال.. والالياذة لا تتناول سوى سته وخمسين يوما من حصار عشر سنين والاوديسة لا تتجاوز مدتها الأربعين يوما من رحلة (اوديس)..

والادب العالمي أحبتي هو لغة الشعوب وتاريخها وحضارتها ويتجسد لنا ويصدرعلى شكل روايات أو قصائد او مسرحيات وبها ننتقل من عالم

الى اخر وكأننا سافرنا الى تلك البلدان البعيدة.فنجتاز كل حدود الزمان و المكان و ننفذ الى عصورلم نعش فيها فندرسها ونلاحظ واقعها وطباعها وعاداتها و تقاليدها وتراثها وحضارتها. لذلك يجب علينا قراءة ما يقع بين ايدينا من ادب عالمي كي نستزيد فكريا وننفتح على الشعوب الاخرى ونطلع على ثقافتهم الأدبية علنا نستفيد .

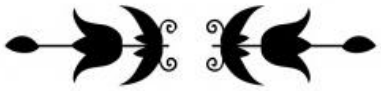

الملحمة الثالثة

الانيادة اللاتينية.. لفرجيل

اهتم الإمبراطور (أغسطس) بالأعمال الأدبية التي كُتبت خلال سنوات مُلكه وتُسمِّى هذه الفترة العصر الذهبي للأدب (اللاتيني) وفي هذه الفترة نشر فرجيل محاوراته الرعوية التي كانت أجمل ماكتب عن حياة الريف وسجل هذا في الإنيادة الخالدة وهي قصيدة ملحمية تصف الأحداث التي أدّت إلى قيام روما وعظمتها وفيها يصف(فرجيل) كيف أن البطل الطروادي أصبح سلفًا للشعب الروماني. ويعطينا (فرجيل) في ملحمته الخالدة (الانيادة) تبريرًا أسطوريًا لحكم الرومان للعالم ..وتعكس لنا الكثير من الكتابات اللاتينية اهتمام الرومان الشديد بالبلاغة التي هي فن الكلام والإقناع.. وكان لمخاطبة الجماهير أهمية كبرى للرومانيين المثقفين في ذلك العصر الملحمي .

والإنيادة: هي : ملحمة شعرية (لاتينية) تدون أحداثاً تعتبر تتمة لأحداث(الإلياذة والاوديسة) ومع أن مؤلف الملحمتين السابقتين هو (هوميروس اليوناني).

وهي تصف الحياة الأسطورية (لأينياس) الطروادي والذي سافر غربا إلى أراضي إيطاليا وأصبح أب لكل الرومان. ونظمت أبيات الملحمة على أسس التفعيل (السداسي وهي من بحور الشعر الاوروبية).

ومؤلف الإنيادة هو (فرجيل الروماني) فإنها تتصل ببعضها اتصالاً وثيقاً إذ إنها تتابع قصة الأمير الطروادي(انياس) الذي نجا بعد سقوط مدينته طروادة واستقر في غربي إيطاليا .

التعريف بصاحب الانيادة (فرجيل)

هو: ببليوس فرجيليوس مارو (فرجيل) المولود شمالي إيطاليا في مزرعة والده تلقى فرجيل التعليم اللائق وشُهد له إقبال عظيم على شتى أنواع العلوم والمعرفة.

كان فرجيل أعظم من قاموا بتوضيح أهداف عصره والتعبير عن مثله العليا في سبيل تحقيق الرقي والسيادة للجنس البشري كان يتأمل عالم الماضي وعالم المستقبل في آن واحد وفي أثناء وقفته بين هذين العالمين، فإنه قد عبر تعبيراً صادقاً عن ماضي أمته وأبناء جنسه.

محتويات الانيادة :

تحوي الإنيادة على (اثنى عشر كتابًا) تحتوي الستة الاوائل من المجلدات الاثنى عشر على الملحمة الإغريقية (الأوديسة. وتصف مغامرات إينياس) في البحر عقِب استيلاء الإغريق على طروادة أثناء الحرب الطروادية. تبدأ الإنيادة بعاصفة تحطم سفينة إينياس وأتباعه الطرواديين قرب قرطاج بشمال إفريقيا حيث يقع إينياس في غرام ملكتها (ديدو) غير أن الآلهة الوثنية تأمره بالرحيل إلى إيطاليا.

وتحتوي الكتب الستة الأخيرة من (الإنيادة على ملحمة الإلياذة اليونانية) وتبدأ بوصول (إينياس) قرب روما حيث يقدِّم له الملك المحلي (لاتينوس) أرضًا لأتباعه، ويعرض عليه الزواج من ابنته لافينيا. ويقوم تيرنوس طالب يد لافينيا الغيور بالهجوم على الطرواديين ويقتل الجندي الشاب (بالاس) الذي وعده (إينياس) بالحماية. وفي وقت لاحق يصارع إينياس تيرنوس، ويقتله عقابًا لموت (بالاس) .

فرجيل يكتب الانيادة في عشر سنوات :

قضى فرجيل من عمره عشر سنين في تأليف الإنيادة. ولم تتم الملحمة ولم تراجع المراجعة الأخيرة لأن فرجيل سافر إلى بلاد اليونان

وأصيب هناك بضربة شمس قاتلة .. فقفل راجعاً إلى بلدهِ وهو على فراش الموت اوصى أصدقائهِ أن يتلفوا مخطوط الملحمة قائلاً إنه كان يحتاج إلى ثلاث سنين على الأقل تقديراً لصقلها وإعدادها للنشر ولكن الامبراطور أغسطس أمرهم ألا ينفذوا هذه الوصية ..

وبعد عامين من وفاتهِ قام بعضهم يعيب (الانيادة) وسفهها: فنشر أحد النقاد وقتها ثبتاً طويلاً بعيوبها، ونشر غيره ثبتاً آخر بما فيها من سرقاتادبية وأصدر ثالث ثمانية مجلدات محتوية على ما بين شعر فرجيل والشعر القديم.. ولكن (روما) سرعان ما نسيت هذا التشيع الادبيالى (هوراس فرجيل) وبعدها نشأت مدارس أدبية متعددة قامت على منهجية (فرجيل) و ظل الناس بعدها يحفظون الإنيادة عن ظهر قلب وظل الناس جميعاً خاصتهم وعامتهم يهتفون باسم شاعرالانيادة فرجيل .

أحداث الانيادة:

تقول (الانيادة) بينما كانت مدينة طروادة تحترق يظهر شبح (هكتور) القتيل إلى "إنياذ الصالح" قائد أحلافه الدروانيين ويأمره أن يستعيد من اليونان ما كان في (طروادة) من "أشياء مقدسة.

وتبدأ (الانيادة) بواقعة طروادة وكيفية سقوطها، وكيف استيقظ الأمير الطروادي إنياس أبن(أنخيس) الذي أنجبه من الآلهة فينوس على وقع سقوط مدينته التي أحبها كثيراً، ووعود الآلهة جوبيتير بأن يعيد بناء مملكة للطرواديين في إيطاليا. مروراً بضياعه في البحر طويلاً وذلك بسبب حنق الآلهة جينو عليه وعلى قومه وسعيها إلى أن لا تبقي منهم أحدى وتدميرها لسفنهم. ووصف

تلك المشاهد المروعة لجزر تحوي مخلوقات خرافية. ونزوله عند أمم كانوا ينحدرون من نفس نسله الطروادية. ماراً بتلك الفترة الطويلة التي قضاها قبل وصوله لمبتغاه بحبه للملكة دايدو وزوجه منها وهجره لها كي لا يخالف أمر الأرباب وكيف قامت بقتلِ نفسها. ونزوله بمساكن الأموات وتلك المشاهد الجميلة الخرافية التي شاهدها هناك وذلك تلبيةً لدعوى والده الذي مات بعد أن فارق ولده (إنياس) بسبب رفضه للخروج من طروادة، وتلك النصائح التي قدمها له من أجل بناء دولته.

وبينما كان (فرجيل) يكتب هذا كان الامبراطور(أغسطس) ينفذ مشروع قيصروهو إعادة بناء قرطاجنة). وفي هذه الاحداث يقع (إنياس)

في حب الأميرة وتهب عاصفة مواتية فتتيح لهما الفرصة لأن يلجأ معاً إلى كهف واحد ويتم بينهما ما تعده ديدو زواجاً ويقبل إنياس تفسيرها هذا إلى حين، ويشترك هو ورجاله وهم راضون في بناء المدينة، ولكن الآلهة القاسية التي لا نراها قط في الأساطير القديمة تعني كثيراً بالزواج وتنذره بالسفر وتقول له إن هذه ليست هي البلدة التي يجب عليهِ أن يتخذها عاصمة لهُ. ويصدع إنياس بما يؤمر ويترك الملكة الحزينة وهو يودعها .

(الانيادة) ترسم لنا صور حربية شيقة. صراعات الآلهة في أعلي قمم الأولمبي والبشر على الأرض وفي البحار واختلاط الصراع ليكون في بعض الأحيان الوهيبشري. تصوير لمخلوقات غريبة خرافية قدرات (ميتافيزيقية) بشرية. في داخل ثنايا هذه الملحمة.

وتنتهي الإلياذة بسقوط طروادة ومقتل (هِكتور) ابن أخي إنياس وتختتم الأوديسة بعودة أوديسيوس سالماً إلى إيثاكة . في حين تبدأ الإنيادة بخروج إنياس هارباً من طروادة وتنتهي بانتصاره على أعدائه وتأسيسه الدولة الجديدة مندمجاً في شعوبها متبنياً لغتهم بمشيئة جوبيتر وبإذعان

جونو وبذلك يكون فرجيل قد أوّل سقوط طروادة بنهوض رومة. وخلافاً (للإلياذة التي ارتجل هوميروس) فيها الشعر ارتجالاً عفوياً ليعبر عن الوعي والحضارة اليونانية القديمة فإن الإنيادة قامت على خطة محكمة للكتابة أعدها فرجيل بناء على طلب القيصر أغسطس ليمجد فيها رومة ويحتفي بقيمها الأخلاقية والدينية القديمة وبالجذور الطروادية المزعومة لشعبها، وبالإنجازات العظيمة تحت حكم القيصر أغسطس العظيم. ويظهر ذلك خاصة بالإشادة بأغسطس ورومة من الكتاب الخامس حتى الكتاب الثامن وهي النواة الأساسية للملحمة .

زمن سرد الانيادة

ينتقل (فيرجيل) كثيرا بين زمن سرده الذي يجري خياليا في حقبة زمن ما قبل الميلاد في حوالي سنة (١٠٠٠قبل الميلاد) وهو يقوم بتكريم الامبراطور(أغسطس) في ملحمته و لكن يبقى من غير المعقول القول أن أغسطس هو الذي طلب كتابة الإنياذة من أجل الإعلاء من قيمة روما و حكمها. كان الشاعر (فيرجبل) رجلا وطنيا على الرغم من أن اسرته كانت حديثة عهد في رومانيتها إذ ولد في مانتو التي كانت آنذاك

في مقاطعة لم تلحق بشكل كامل بإيطاليا إلا بعد أن بلغ فيرجيل سن الرشد. ولئن أشاد بإمارة أغسطس، فأولا لأن هذا الأخير قد جاء بالسلم ووضع حدا للحروب الأهلية المتوالية.

وفرجيل نفسه أرغم على ترك أرضه جراء المعارك التي كانت ضارية. وهو السبب الذي ترك تمزقا في نفس فيرجيل. وإذن فبعفوية كاملة اختار الشاعر اللاتيني العظيم والمدرك لعبقريته أن يضع نفسه في خدمة الوطن في آخر حياته.

الانيادة أصبحت معتقدا عند الرومان :

(الانيادة) ليست مجرد (قصيدة ملحمية) ولكنها معتقد عند الرومان وكانت الإنيادة لسنين طويلة الكتاب الرئيسي لعالم الغرب وكان يعاد طبعها مرة كل عام على الأقل. فكانت بذلك أكثر الكتب تداولاً في أوروبا وأشهرها منذ أيام الرومان.

وإذا شئنا أن نفهم الإنياذة على حقيقتها ونقدرها التقدير الذي تستحقه كان علينا أن نتذكر في كل قسم من أقسامها أن فرجيل لم يكن يكتب رواية خيالية بل كان يكتب لروما كتاباً مقدساً؛ وليس ذلك لأنه يقدم لها

شريعة دينية واضحة فإن الآلهة الذين يسيرون الحوادث في تمثيليتهِ من وراء الستار .ولكن الدين الحقيقي في الإنيادة هو دين الوطنية والاله الأعظم عندهم هو روما فمصير روما هو المحرك لحبكة القصة وكل ما في القصة من محن وشدائد إنما يرجع إلى الواجب المضني واجب بعث الشعب الروماني .

الانيادة أهم مصدر للغة اللاتينية :

عُدّت الإنيادة منذ القرن الأول بعد الميلاد أحد أهم مصادر اللغة اللاتينية عند النحويين وفي الكتب المدرسية، وألهمت الكثير من الكتاب نظم أعمال تقتدي بنموذجها أو تستوحي أجواءها، وقد امتدحها(دانتي في الكوميدية الإلهية) واستخدمها الشاعر (الإنكليزي تشوسر) في أعماله واقتبس منها الشاعر الإنكليزي إدموند سبنسر في قصيدته «ملكة الجن وحافظت الإنيادة على تفردها إلى أن أعيد اكتشاف هوميروس في عصر النهضة.

وقد كُتب عنها عبر العصور الكثير من الدراسات التفسيرية والمقارنة في معظم اللغات الأوربية وأهمها (التقنية الملحمية عند (فرجيل). وختاماً نقول : لا يزال الظلام يخيم على حقيقة نشأة مدينة (روما) ولا يزال العلماء يحاولون جاهدين الكشف عن أسرار هذه المدينة الخالدة حيث لا يمكن الاستناد كليةً على الأساطير دون وجود دليل مادي يدعمها كما أن وجود بعض الأدلة كان له الفضل في دعم بعض الروايات إلى حد ما.

وعلى ذالك فإن الكشف عن أسرار هذه المدينة التي (حكمت العالم ردحاً من الزمن) سيظل هاجساً يشغل المؤرخين والباحثين إلى أجل غير معلوم.

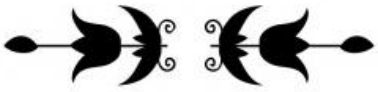

الملحمة الرابعة

الشهنامة الفارسية

(الشهنامة) الفارسية ترجمت باعتبارها نصاً لا ينحدر من أصول عربية وعلينا ان نترجمه الي لغتنا العربية ونصنفة من الادب المترجم ونضيفه الى المكتبه العربية بصفته من الادب المترجم .. الا انه من منطلق الفكر الادبي هو عمل ينقل فحوى و رسالة أدبية من شعب إلى شعب آخر كي يتم التعرف على ثقافته ومنهجية آدابه.ومن الطبيعي أن يحدث بفضل هذا تفاعل بين الأنساق وتحولها بفضل التمازج إلى ادب جديد هو الصورة المثلى التي ظهر عليها الشكل الأدبي العربي إبان عصور الازدهار الذهبية..

وأشير هنا إلى أن اللغة العربية أصل هام من أصول شهرة (الشهنامة) وإن الامتزاج بين الثقافتين العربية والفارسية والاتصال المستمر بينهما خصوصا بواسطة الترجمة فضلا عن الوحدة الدينية والفكرية التي أحدثها الإسلام إطار مُؤَسِّسٌ ومُحدِّد لنظم الشهنامة في اللغة الفارسية وعليه نستطيع ان نقول ان ترجمة (الشهنامة) للغة العربية

ذادت الشهنامة رونقا وبريقا حيث ان للقاريء العربي بفكرة المستنير رؤية فلسفية ..تضيف الى كل ما يترجمه من ادب اضافات جوهرية فتظهر المعنى وتعليه ليرتقي الى العالمية.

معنى كلمة (الشهنامة) :

(الشاه) وتعني الملك (ونامة) تعني كتابة أورسالة وأصبح اسمها ((كتاب الملك)) وهي (ملحمة شعرية) ضخمة تقع في (خمسة وخمسون ألف بيت من الشعر) ينظمها (الفردوسي) في القرن الرابع الهجري وأهداها للسلطان (محمود الغرنوي) متاملأ منه الحصول على مكافأة كبيرة لكنه لم يظفر من هذا السلطان بما يرضيه..

(والشهنامة) تعد ملحمة (الفرس العظيمة) و تتميز عن غيرها من الملاحم العالمية مثل الإلياذا والأوديسة والتي قال عنها بأنها لا تتناول موقعه واحدة أو سيرة بطل واحد بل هي سجل لحياةامة بأكملهايضم تاريخ الفرس وحضاراتهم منذ أقدم العصور بدءا من خلق الإنسان وحياته الأولى على نحو مختلط مع أساطيرالهنود ومرورا بسير الملوك الساسايين ومن عاش في مراحل حكمهم وما حدث معهم في ممالكهم من

وقائع جسيمة إنها تروي وقائع الحرب والحب على امتداد زمني يبلغ آلاف السنين .

من هو الفردوسي :

هو: أبو قاسم الفردوسي منصور بن حسن بن شرفشاه شاعر فارسي ولد في قرية (فاز) بالقرب من بلدة تباران في إقليم طوس بخراسان (في إيران حاليا).. عاش في حكم (السامانيين) في حكم القزنويين في زمن (الخلافة العباسية).

اشتهر بتأليف كتاب الشهنامة:

لقد شهد الفردوسي نهاية الأسرة السامانية التي يقول عنها المؤرخون إن ملوكها ينتسبون الي بهرام جوبين القائد الساساني وكانت هذه الاسرة تبدي رغبه عظيمة في إحياء ما لا يتعارض مع الإسلام من السنن والآداب الايرانية القديمة لقد عاش الرجل في بيئة تحض على الإسلام من جهة وعلى النزعة نحو التراث من جهة اخرى. و لاشك ان هذا قد ترك تأثيراً كبيراً عليه وخلق لديه تعلقاً منقطع النظيربالحضارة الفارسية القديمة فقد بدأ الفردوسي نظم ملحمته في العهد الساماني وهو عهد أفلح

فيهالفرس في إحياء مجد أمتهم، فحققوا الاستقلال في الحكم، وبعثوا الشخصية الفارسية بأن ارتدوا إلى اللغة الفارسية كلغة رسمية في شؤون الإدارة والفكر والفن كلها وهو حلم ظل يراودهم منذ الفتوحات الاسلامية ولكنهم غلبوا على أمرهم طبلة عصور ازدهار الحكم العربي ..

كتبت الشهنامة في خمسة وثلاثون عاماً:

قضى(الفردوسي) من العمر خمسة وثلاثون عاما في كتابة الشهنامة.. اعتكف الفردوسي على قراءة وتجميع روايات واساطير الفرس وضمها في كتاب واطلق عليه اسم الشهنامة.

ما تحكية لنا الشهنامة:

تحكي لنا الشهنامة (ملحمة بلاد فارس) باسلوب رائع يجعل القارئ يعيش في أجواء هذه الملحمة وكأنه يعيش في أحداث مسرحية تاريخية فى البدء امتلك العالم كله مَلِك يُدعى(جيومرت) وقد خصه الله بعناية فائقة بالاضافة إلى قوته وشهامته حباه جمال الوجه وبهاء الطلعة وجعل مكان اقامته في الجبال ومن انتشرت الحضارة في العالم ..وتتجلى قيمة

الشاهنامة في انها جمعت التاريخ الفارسي المبعثر بين الصدور والسطور في ملحمة واحدة تتمتع بكافة العناصر الحماسية العالمية ..

الشهنامة وتاريخ ملوك الفرس:

تستعرض الشهنامة تاريخ (خمسين من ملوك الفرس).. خمسين ملك.. حكموا بلاد الفرس منذ أقدم الأزمنة إلى بداية العصرالإسلامي على امتداد أربع سلاسل من الحكومات وبطل هذه الملحمة الطويلة هو(رستم)الذي (لم يخلق الله نظيراً له في العالم) بحسب تعبير الفردوسي وهو اسقاط عن اول الخلق.. وأكمل الشاعر في هذه المنظومة عملاً بدأه من قبله أكثر من أديب وذلك للمحاولة في تسجيل تاريخ إيران الحافل بالأمجاد وحفظه من التشتّت والضياع. قبل الفتح الإسلامي أم خسرو برويز الساساني بجمع (الأساطير الإيرانية) وتم تدوين هذه الأساطير في عهد حفيده (يزدجر شهريار) في العصور الإسلامية جرى تعريب عدد من الكتب تتطرق إلى سيرة ملوك إيران غير أن هذه الكتب ضاعت ولم يبق منها إلا ما ذكره عنها بعض المؤرخين العرب مثل:(ابن النديم- والمسعودي- وابن قتيبة)..

مصادر تثبت ان الشهنامة كتبت قبل الفردوسي :

يقال إن أول شهنامة ألفت من قبل (أبي المؤيد البلخي) الكاتب والشاعر المعروف كانت في مطلع القرن الرابع الهجري وقد عرفت هذه الشاهنامة (بشهنامة المؤيدي) نسبة إلى اسمه لكنها فقدت بعد القرن الهجري السادس.

(الشهنامة الثانية) التي ذكرت في الكتب هي التي ألفها الشاعرأبو علي محمد بن أحمد البلخي.

(الشهنامة الثالثة) ظهرت في مطلع القرن الرابع الهجري أيضاً وكانت لشاعر فارسي يدعى المسعودي المروزي وقد كانت تحظى بتقدير الإيرانيين، وأنهم كانوا يحفظون أبياتها ولم تصل إلى يد الباحثين منها سوى (أربع أبيات من بحر الهزج المسدس) وهو من بحور الشعرالفارسي وقد روي ذلك طاهر المقدسي في كتابه «البدء والتاريخ».

(الشهنامة الرابعة) هي تلك المعروفة بشاهنامة أبي منصوري والتي ألفت من قبل أبي منصور محمد بن عبدالرزاق قائد الجند في خراسان.

(الشهنامة الخامسة) هي التي ألفها شاعر من شعراء البلاط الساماني يدعى «الدقيقي» حيث أنهى منها (٩٩٠ بيتاً)وقتل على يد غلام له وذلك في (عام ٣٦٨ هجرية) ..وهو في عنفوان شبابه.

من أساطير الشهنامة :

وهنا تتحدث (الشهنامه) عن شخص يدعي «جمشيد» كان يدعو الناس الي الله فقبض عليه سلطان جائر يدعي الضحاك فقتله.وقبّل ابليس كتفي هذا السلطان فظهر علي كتفيه ثعبانان كان غذاؤهما ادمغه الناس. فراح السلطان يقتل في كل يوم شخصين ليتغذي الثعبانان علي دماغيهما. فكان من ضمن من قتل رجل يدعي (اثبين) و هو من سلاله الملوك مما دفع بزوجته وولده (فريدون) الي الهرب خوفاً من سطوته و الاحتماء بجبل «البرز». و كان هناكرجل حداد يدعي(كاوه) له ثمانيه عشر ولداً قتل السلطان منهم سبعة عشر ولدا فتمرد ضد السلطان و دعا الناس الي الثوره عليه فانضم اليه خلق كثير واتجهوا نحو (جبل البرز) و أمّروا

(فريدون) عليهم وتمكن فريدون من الاطاحه بالسلطان و تقلد زمام الامور بدلاً منه وقسّم (فريدون) سلطانه في اواخر عهده بين اولاده الثلاثه. فكانت مقاطعة (ايران) وهي القسم الاعظم و الافضل من نصيب ولده الاصغر(ايرج) الامر الذي اثار غضب وغيرة اخويه (سلم) و(تورا)ضدّه فقتلاه. وكانت زوجه ايرج حبلي، فجاءت ببنت كبرت وتزوجت فولدت ولداً سمّاه (منوجهر) (فرباه فريدون) لكي يثأر لولده (ايرج) وفعلاً فقد قتل سلموتورا علي يديه. وحدثت اثر ذلك حروب داميه بين (ايران) و(توران) ..

جزء من نص الشهنامة المترجم الى العربية :

يابطلي نزحت ترجو أباك * فنالك القبر بعز صباك**

من قبل أن يستل من غمده * خنجره، صبه في كبده**

علامي للأب لم تنجل * لو أنه رآها لم أتكل**

أعطتك أمك دليل الأب * علام لم تبده لم أكذب**

قولها وأظفر مرسله * تفترس الخد لفرط الوله**

أنينها والدم في خدها * أبكى جموع الناس من وجدها**

وسقطت على الثرى في ألم *** كميت أو مشتك لوث دم

واستيقظت فعاد طيف ابنها *** يثير ما نهته من حزنها

ضمت حصانه إلى صدرها *** والناس يعجبون من أمرها

تلثمه في الرأس والناظر *** ودمها يجري على الحافز

وعانقت لباسه الملكي *** تخال أن على أبنها تتكي

وجمع عدته في ركام *** قوسه والدرع وأغلى حسام

وسرجه وترسه واللجام *** وجعلت تنطحه في احتدام

والتفعت بتوبه الأزرق *** فدمه عليه طهر بقي

وعاشت من بعد "سهراب سنة *** تبكيه ما ذاقت بليل سنة

ثم قضت، من بعد، من حزنها *** وسمت الروح للقيا ابنها

السر خلف الكون لن يظهرا *** يا أعمى لا تطلبه بين الثرى

أضعت عمرك أدراج الرياح *** والسر سيستحيل فيه انفتاح

الشهنامة تترجم الى عدة لغات :

أسلوب "الشهنامة" السهل الممتنع جعل منها ملحمة تنتشر بين أوساط الإيرانيين(فتناقلوها على الشفاه وحفظوها في الصدور) أما على الصعيد العالمي فقد انتشر صيتها انتشارا واسعاً فأول ترجمة تمت للشاهنامة باللغة العربية قام بها الفقيه (قوام الدين فتح بن علي البداري) وهناك ترجمات لأجزاء من الشهنامة أشهرها ترجمة (زوكوفسكي) لقصة (رستم وسهراب) باللغة الروسية شعراً.

و لم تترك الشهنامه تأثيرها علي الادب الفارسي فحسب بل نفذت الي الادب العالمي و تركت بصماتها عليه. و قد ترجمت الي اللغه العربيه في مطلع القرن الهجري السابع من قبل(الفتح بن علي البنداري) و منذ القرن الثامن عشر الميلادي ترجمة الي مختلف اللغات العالميه (كالانجليزيه والفرنسيه و الالمانيه والروسيه والايطاليه و الهنغاريه ..و الدانماركيه والتركيه والارمنيه و الجورجيه).

الفرس.. والأدب الفارسي:

(الفرس) أمة قديمة لها حضارة ضاربه بجزورها الي حقبة ما قبل الميلاد. والأدب الفارسي ظهر إلى الوجود في القرن التاسع وبخاصة في الجزء الشمالي الشرقي من(إيران) بظهور اللغة الفارسية الحديثة. وأقدم الأسماء التي يطالعنا بها هذا الأدب مثل الرُّودَكي الذي يُلقّب أبي الشعر الفارسي (والفردوسي) الشاعر صاحب الشهنامه (أو ما اطلق عليه كتاب الملوك). وبعد هذه الطبقة من الشعراء ظهرت طبقة أخرى لاتقلّ عنها شأناً وأثراً.

كما ظهر النثر الفارسي الذي جعل العلوم والآداب ميسرة بالفارسية.

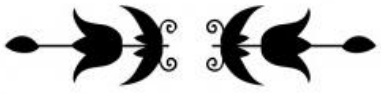

الملحمة الخامسة

ملحمة جلجامش

ملحمة (جلجامش)..تعد هذه الملحمة من أميز روائع الأدب الإنساني عبر العصور فإنها ما زالت حتى اليوم حيةً نابضةً تهز قلب ووجدان قارئها وما من شك أن هذا النص الشعري العظيم قد أضاء وكشف عن جوانب رائعة من حياة الإنسان في هذه الفترة الزمنية السومرية وعن اشكالية الوجودية أمام مسائل كالموت والحياة والديمومة والعلاقة الملحمية المتوترة مع الطبيعة وربطها بالمشاعر الانسانية وكل ذلك بأسلوب شعري مدهش أخّاذ سواء في نصه الأصلي القديم أم في الترجمات فهيا بنا احبتي نصول ونجول في كواليس ملحمة (جلجامش) العظيمة ..

جلجامش الملك :

في عام ٢٦٥٠ قبل الميلاد.. كان الملك السومري جلجامش يحكم سلالة (الوركاء الاولى) .. وكان جلجامش يتسم بالبطولة والشجاعة

والجراة ..مما حمل الشعراء القدامى على تخليد ذكراه في ملحمة فريدة تحمل اسمه

ملحمة جلجامش في بلاد الرافدين:

هي قصيدة ملحمية عظيمة تسجل ملحمة الملك (جلجامش) في بلاد الرافدين وتعتبر إحدى أولى الأعمال الأدبية في العالم فقد نقشت على الالواح قبل ان تكتب الالياذة والاوديسه وعثر عليها عقب تنقيبات اثرية في مدينة (نينوى) في(العراق) وتبين أن مكان العثور عليها ما هو إلا مكتبة الملك الآشوري (آشوربانيبال) وقد جاءت القصيدة الملحمية مكتوبة على اثنى عشر لوح طيني مكتوبة بخط مسماري والتي اعتبرها البعض أقدم قصة كتبها الإنسان .

جورج سميث واكتشاف ألواح الملحمة:

في العام ١٨٥٣م تم الكشف عن أقدم ملحمة أدبية معروفة حتى الآن وهي ملحمة جلجامش وذلك بعد أن تمكن العالم البريطاني جورج سميث من اكتشاف مكتبة الملك آشوربانيبال آخر ملوك الامبراطورية الآشورية الحديثة بمدينة نينوى بالعراق وقد دونت الملحمة بالخط المسماري على اثنى عشر لوحاً طينياً.

المتحف البريطاني بنسخة الألواح الأصلية :

لا تزال اجزاء من الالواح محفوظة حتى اليوم في المتحف البريطاني ومن بعدها تلا هذا الاكتشاف تواجد نسخ أخرى من الواح الملحمة في مواقع أخرى في تركيا وفلسطين مما يثبت على انتشار الملحمة وانتقال فن الملاحم من الحضارة السومرية الى الحضارة الاغريقية التي انتجت ملحمتي الإلياذة والأوديسة.

أول ترجمة عربية لملحمة جلجامش :

في عام ١٩٦٢م نشر العالم العراقي الكبير د. طه باقر ترجمته للملحمة من اللغة الأكدية المكتوبة بالخط المسماري إلى اللغة العربية لنتعرف من خلال ترجمته بنص عربي على ملحمة جلجامش الخالدة ...تصور لنا أسطورة جلجامش فجر تكوين الحضارة البشرية وتعاظم القدرة الإنسانية ويتجلى فيها الصراع بين مراكز القوى من خير وشر ويأخذ الخير طريقة بتؤدة

وتتجسد ملامح علاقة الإنسان بأخيه الإنسان لبلوغ الأهداف الذاتية والاجتماعية وتجيب الأسطورة عن تساؤلات جلجامش حول سر الخلود للتغلب على الفناء البشري من دون أن يدري أن بلوغ تلك الأفكار تأهل صاحبها ليحصل على السرمدية ليخلد باعماله وانجازاته..

قصة ملحمة جلجامش:

تبدأ الملحمة بالحديث عن جلجامش ملك((اوروك)) الذي كانت والدته إلهاً خالداً ووالده بشرا فانيا ولهذا قيل بان ثلثيه إله والثلث الباقي بشر عندما طغى جلجامش وتجبر في حكمه للبلاد .. فتوسل شعب أوروك إلى الآلهة بأن تجد لهم حلًا مع ملكهم فقام الإله أورورو بخلق شخص اسمه أنكيدو كان الهدف من خلقه قهر جلجامش فتصارعا وانتصر جلجامش ومن بعدها صارا صديقين وأصبحا يخوضان المغامرات والمعارك معا ومن أبرز مغامراتهما المشتركة رحلتهما إلى غابات الأرز البعيدة حيث ذبحا الوحش خمبابا الذي كان يهدد المدينة بغزوها وبعد هذا العمل البطولي انتشر صيت جلجامش في كل الأصقاع مما جعل الربة عشتار تتقرب إلى (جلجامش) ولكنه استهزئ واستهان بحب(عشتار) له فقامت

عشتار وطلبت من الآله آنو خلق ثور عظيم يقهر جلجامش وبالفعل كاد الثور أن يفتك بجلجامش لولا تدخل أنكيدو باللحظة المناسبة وقتلهما للثور سويا فغضبت الربة عشتار من أنكيدو وأنزلت به المرض فمات بين يدي جلجامش. وأملا في قيام جلجامش بإعادة صديقه إلى الحياة وأيضا خوفا على نفسه من الموت قام جلجامش بترك مملكته بحثا عن أوتانبشتيم آله الخلود ليتعلم منه أسرار الحياة والخلود وبعد بحث جهيد وجده(جلجامش) فلاحظ (أوتنابشتم) إصرار جلجامش في سعيه نحو الخلود قام بعرض فرصة على(جلجامش) ليصبح خالدا وذلك إذا تمكن جلجامش من البقاء متيقظا دون أن يغلبه النوم لمدة (ستة أيام وسبع ليالي) فإنه سيصل إلى الحياة الأبدية ولكن جلجامش يفشل في هذا الاختبار إلا أنه ظل يلح على (أوتنابشتم) وزوجته في إيجاد طريقة أخرى له كي يحصل على الخلود. تشعر زوجة أوتنابشتم بالشفقة على(جلجامش) فتدله على عشب سحري بقاع البحر بعد أن فشل مسعاه في الخلود، يغوص جلجامش في أعماق البحر في أرض الخلود دلمون بلاد (البحرين حاليا) ويتمكن من اقتلاع العشب السحري..وهي نبتة الخلود إلا أنه فقدها في طريق عودته بسبب

أفعى أكلت الزهرة وهنا تتراءى لجلجامش روح أنكيدو والتي تخبره عن الموت والمكافآت التي تمنح للشجعان والأبطال فيقرر جلجامش العودة إلى مملكته بعد أن يكون قد اكتشف بأن الخلود يكون بالأعمال والبطولات العظيمة.

عشتار وعشقها لجلجامش :

وها هو جلجامش يقابل الربة عشتار بالتجريح لأنها حاولت الإيقاع بجلجامش الإنسان وذلك كي تستميلة لأهوائها ورغباتها فيرفض ويستنكر هذا العشق حزنا على موت صديقة انكيدو .

من نص ملحمة (جلجامش)

تعال يا جلجامش وكن لي عريساً .

هبني ثمارك هدية

كن زوجا لي وأنا زوجة لك

سأمر لك بعربة من الازهار.. وذهب

عجلاتها من كهرمان

وملفوفا بشذى الأرز بيتا ..

قبلت المنصة قدميك والعتبة

وانحنى لك الملوك والحكام والأمراء

يضعون غلة السهل والجبل أمامك ..فتقبلة..!!

جلجامش يرد على عشتارقائلاً :

وأنا ما الذي اجنيه أن تزوجتك ..؟؟

أقدم لك زيتا ثيابا فاخرة

خبزا طعاما ..!!

أنت كباب البيت الخارجي لا يصد ريحا ..

و لا يمنع عاصفة

كقصر يتحطم فيه الأبطال

كفيل عظيم يرمي عنه حليه

كالقطران يلوث يد حامله

كقربة ماء تبلل من يحملها ..!

إن موت أنكيدو جعل صديقه جلجامش يتيه في بيداء الحزن والأسى والوحدة لقد انغمس جلجامش في تفكيره الحزين عن الكيفية التي يمكن للإنسان أن يتخلّص بها من الموت ليبقى مخلداً كالآلهة، لو كان الإنسان قد توصل إلى ذلك لما مات صديقه (انكيدو) ولما ارتعب خوفاً من الموت المرتقب ومن هذا كله ينطلق جلجامش في رحلة الأهوال والمخاطر للحصول على نبتة الحياة في أغوار المحيطات.

لقد كان موت انكيدو بالنسبة له دافعاً ومحفزاً لخوض صراعات جديدة مع الآلهة وتحدي صريح لقراراتها، فيرفض القدر الذي وضعته لانكيدو ولا يقوم بدفنه كالعادة ويأخذ بندبه بمغالاة شديدة لم يعهدها أحد من قبل .. ويقول:

أيها الشيوخ اسمعوا ..!!

ابكي انكيدو أبكيه بكاء الثكلى

كان البلطة إلى جانبي والقوس في يدي

المدية في حزامي والترس الذي أمامي

حله عيدي فرحي الوحيد" بشور ..

سارق لئيم سرق صاحبي .حرمني إياه

صاحبي أخي الأصغر سرقني إياه الموت

قهر المصاعب ارتقى الجبال ..!

امسك الثور بقرنيه، قتله

صرع خمبابا حارس غابة الأرز

فأي نوم هو الذي صرعك

البطل جثة هامدة لا يتحرك

لا يرفع عينيه ..!!

فرمى عليه وشاحا كوشاح العروس

ورفع صوته بصراخ كزئير الأسد

وكلبؤة سلبت أشبالها

صار يحوم حول صديقه المسجى

يقطع بيديه شعر رأسه ويرمي به

ويطرح عن جسمه ثيابه الجميلة..!!

وبعد هذه الانتكاسة بموت صديقه يعود(جلجامش) إلى صراعه مع الآلهةالتي انتزعت منه صديقه الوحيد انكيدو فكان وصفه "بالأخ الأصغر"تعبيرا عن المكانة التي يحتلها في قلبه وتأكيدا عن عمق الهوة ا لتي تركها (انكيدو).عندما قتل ..

جزء من نص الملحمة :

الى اين تسعى يا جلجامش

ان الحياة التي تبغي لن تجد

كن فرحا مبتهجا نهار مساء

واقم الافراح ..

واغسل همومك ..

واستحم بالماء ..

دلل صغيرك .. وافرح زوجتك ..

فهذا هو نصيب البشرية ..!!

يقطع جلجامش أصقاع الأهوال والبراري ويعبر مياه الموت ويغوص في أعماق المحيط ويحصل على تلك النبتة.. نبتة الخلود ليحملها إلى

أرض أوروك (الوركاء) ويقوم بزراعتها ويكثرها، لينالها جميع أهالي المدينة، والنبتة هناهي رمز الحياة رمز المعرفة، معرفة سر الخلود، ولكن جلجامش يفقد النبتة وهو في طريقه إلى الوطن فقد ابتلعتها الأفعى عندما كان جلجامش(يستحم في البركه) لم يرَ سوى أفعى تنساب إلى جحرها لتختفي معها نبتة الخلد فيقرر جلاجامش بعدها أن يفعل شيئاً يخلّد ذكره وفكره لانه لم يستطع أن يخلّد جسمه وشكله فيعود إلى مدينته الوركاء ليقيم العدل في البلاد. ويشيد المدارس وينشر العلم والتعليم ..في مملكته.

جزء من نص الملحمة :

رأى جلجامش بركة ماء ..

نزل فيها واستحم بمائها

تشممت الحية رائحة النبتة

تسللت ، صعدت من الماء

خطفتها ..

وفيما هي عائدة

تجدد جلدها

وهنا جلس جلجامش وبكى ..

هنا نلاحظ المعاني التالية ..

أن دلمون مسكن الآلهة

وموطن آباء البشر ..!!

انشغلت الملحمة بفكر أساسي هو البرهان بأسلوب مؤثر علي حتمية الموت علي البشر حتي بالنسبة إلي بطل مثل(جلجامش) الذي ثلثاه من مادة الآلهة الخالدة ثلثه الباقي من مادة البشر الفانية لأن كما جاء في الملحمة إن الآلهة قد استأثرت بالحياة وقدرت الموت علي نصيب البشرية ولكن أليس هذا من البديهيات لدي جميع البشر.

أليست حقيقة الموت لا تزال تتكرر ليل نهار في حياة الإنسان منذ أن وجد علي هذه الأرض قبل اكثر من مليون عام كما حدد العلماء عمر الانسان على هذا الكوكب إذاً فما وجه الجدة والأصالة في عرض مسألة الحياة والموت والبرهنة علي حتمية الموت في ملحمة جلجامش الواقع أن ظاهرة الموت المتكررة المعادة برغم كونها من البديهيات لدي العقل

الواعي والتفكير المنطقي إلا إنها مازالت لغزا محيرا لعاطفة الفرد وأحاسيسه ورغباته وغرائزه الحياتية وهي موضع حيرة أليمة في قرارة كل نفس بشرية وتزداد عمقا وألما كلما شارف الإنسان علي أبواب الشيخوخة.

مقطع أخرمن نص الملحمة :

إلى أين أنت سائر..

لن تجد قطّ الحياة التي تنشد

فالآلهة حينما خلقوا البشر .!

كتبوا عليهم الموت

واحتفظوا بالخلود لهم ..!!

لقد مزجت هذه الملحمة الحقيقة بالأسطورة والواقع بالخيال وكانت واقعيتها مزخرفة بالحكمة، وخيالها متسربل بالرمزية.. هي واقعية من حيث تناول الإنسان حياة وموتاً وهي رمزية لأن أحداثها المفرطة ذات دلالات عميقة، وأسطورتها ذات مرامٍ بعيدة ..

أول من ترجم لملحمة الى الانجليزية:

ترجمت الملحمة لأول مرة إلى الإنكليزية في سنوات تلت عام ١٨٧٠ ميلادية من قبل عالم الاثار ((جورج سميث)) عالم الآثار المتخصص في التاريخ الاشوري القديم والذي توفى في العام ١٨٧٦ميلادية ..

كذبوا المستشرقين ولو صدقوا :

(المستشرق) هو : ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه ولن يتأتّى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق..وتطلق كلمة مستشرق بشيء من التجاوز على كل من يتخصص في أحد فروع المعرفة المتصلة بالشرق من قريب

أو بعيد ويري (مالك بن نبي) في مقالة له تحت عنوان إنتاج المستشرقين يحدد مصطلح الاستشراق فيقول: "إننا نعني (بالمستشرقين) الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية وأن صفة مستشرق ينبغي أن تقتصر علي من ليس شرقيّاً .

مقارنة المستشرقين بين ما ورد في الملحمة وما ورد في قصة خلق آدم وحواء عليهما السلام .

ربطوا المستشرقين ما ورد في التوراة وربطهما بقصة خلق أنكيدو والكاهنة التي أعطت المعرفة لأنكيدو ليكتشف عن حالته الوحشية وعريه وكيف انها أعطته نصف ثوبها ليستر هذا العري ثم يأتي إلى الجانب الأهم وهو قصة (الطوفان التوراتي) ومقابله الطوفان السومري من خلال نصوص ظنا منهم انها متطابقة للتوراة وقالوا انها عبارة عن نصوص متفرقة أعيد صياغتها مع تغيير الأسماء والأمكنة وأبقي على الأحداث لكنها أصبحت تخص شعبا آخر وانتقلت من الدنيوي الأسطوري إلى العقائدي الديني والموضوع يتكرر في قصة الخلق والتكوين الأولي لبدء الخليقة وتشابهه في النص والمعنى لقصة نبي الله يوسف وغيرها من قصص التوراة .

زعم المستشرقين.ان الملحمة ينقلوها عن ترجمة الالواح الطينيية التي وجدت في العراق . وهذا كذب فان الالواح الطينية الاصلية انما وجودوا فيها أمور لا يذكر فيها الطوفان وانما يستقون ذلك من الملاحم.ومن المعروف ان الملاحم قصص لا سند لها وانما يتناقلها الناس على شكل

روايات تاريخية وقصصية .وهي من العلوم الثلاثة التي قال عنها الامام احمد ان لا أصل لها في الدين وقالوا ان الالواح التي وجدوها تعود الى فترة ما قبل التوراة . والصحيح ان الالواح السليمة والتي لا يوجد فيها كذبهم أصلا انما دونت بعد ذلك بكثير .

آراء النقادة في ملحمة جلجامش :

يقول الكاتب والناقد(سبايزر) في تعليقه على طبيعة ملحمة (جلجامش) إن ملحمة جلجامش تتعامل مع أشياء من عالمنا الدينوي مثل الإنسان والطبيعةوالحب والمغامرة والصداقة والحرب.. وقد أمكن مزجها جميعاً ببراعة متناهية لتكون خلفية لموضوع الملحمة الرئيسي ألا وهو «حقيقة الموت المطلقة»

إن الكفاح الشديد لبطل الملحمة من أجل تغيير مصيره المحتوم عن طريق معرفة سر الخلود من رجل الطوفان ينتهي بالفشل في نهاية الأمر ولكن مع ذلك الفشل يأتي شعور هادئ بالاستسلام ولأول مرة في تاريخ العالم نجد تجربة عميقة بهذا المستوى البطولي بأسلوب شعري رفيع، وهذاما جعلها تنال إعجاب الناس في كل العصور، والأزمنة لذلك وجدت

أجزاء منها في أماكن عديدة خارج بلاد الرافدين، وتم ترجمتها إلى لغات كثيرة ولاحظ الباحثون أن تأثيراتها وجدت في ملحمتي (هوميروس) (الإلياذة والأوديسا) وهناك من تقارب بين(اكيليس) بطل الإلياذة ورفيقه (باتروكليس) بالبطل جلجامش وصديقه (أنكيدو) وكما أسلفنا أحبتي بان الملحمة كتبت على اثنتى عشر لوح من الطين كتب بالحفر المسماري .. والان استعرض لكم اجزاء مما ورد في بعض الالواح المسمارية لنص الملحمة المترجم الى العربية..

نماذج من ألواح ملحمة جلجامش:

من اللوح الاول :

هو الذي رأى كل شي إلى تخوم الدنيا .!

هو الذي عرف كل شيء وتضلع بكل شيء معا

سيد الحكمة الذي بكل شيء تعمق ..

رأى أسرار خافية وكشف أموار خبيئة

وجاءنا بأخبار عن زمان ما قبل الطوفان

مضى في سفر طويل ، وحل به الضنى والعياء

ونقش في لوح من الحجر كل أسفاره ..!!

من اللوح الثاني :

خذ الرقيم اللازوردي واتله بصوت عال.

عن جلجامش الذي مضى عبر جميع الصعاب.

الذي فاق كل الملوك، ذائع الصيت متين البنيان.

ابن (أوروك) الثور النطوح.

الذي يمضي في المقدمة كلما يليق بالقائد..

ويسير أيضاً في المؤخرة كرجل مؤتمن.

كصخرة جبارة، يصد عن رجاله..

وكموج الطوفان الصاخب يهدم الأسوار الصماء.

نسل لوجال بندا، جلجامش الكامل القوة

جلجامش الضافي الروع

فاتح ممرات الجبال

ناقب الآبار في سفوح المرتفعات.

عبر المحيط البحر المترامي إلى حيث تشرق الشمس.

من اللوح الثالث :

ثلثاه إله، وثلثه بشر ..!

مالهيئة جسمه من نظير.

أسطر مشوهة.

كثور وحشي يرفع رأسه عالياً

بأس سلاحه بلا شبيه .

وعلى صوت الطبل يوقظ رعيته.

ثار أهل أوروك في بيوتهم

لا يترك جلجامش ابناً لابيه

ماض في مظالمه ليل نهار.

وهو الراعي لأوروك المنيعه ..!!

من اللوح الرابع :

فمه قائلاً لأبيه..!

أي أبتي.. قد هبط في أرضك رجل فريد ..!

أقوى من الفلاة ذو بأس عظيم

متين العزم كشهاب آنو الثاقب.

دوماً يطوف أرجاء أرضك..

دوماً يأكل العشب مع الحيوان..

ودوماً يأخذ مسالك مورد الماء.

خفت ولم أجرؤ منه اقتراباً.

ردم حفري التي حفرت.

وقلع مصائدي التي نصبت...!!!

من اللوح الخامس:

مضى الصياد إلى جلجامش ..!!

شد الرحال وحط في مدينة أوروك.

مثل أمام جلجامش وحدثه قائلاً

هناك رجل فريد هبط أرض أبي

أقوى من في الفلاة ذو بأس عظيم

متين العزم كشهاب آنو الثاقب..

دوماً يطوف أرجاء أرض أبي

دوماً يأكل العشب مع الحيوان..

ودوماً يأخذ مسالك مورد الماء.

خفت ولم أجرؤ منه اقتراباً..

ردم حفري التي حفرت

وقلع مصائدي التي نصبت..

بعونه فر من يدي طرائد البر وحيوانه،

لا يدع لي فرصة للايقاع بها.

فقال جلجامش:

امض أيها الصياد وخذ معك كاهنة حب.

وعندما يرد الماء لسقيا الحيوان

دعها في ثيابها ولا تكشف مفاتنها..!!

وننهي رحلتنا مع الملحمة لنقول ان إرادة (جلجامش) الإنسان تفوقت على حواجزالآلهة الوثنية وهي تتخطاها وتحقق الانتصارات بشكل متواصل وتم تجاوزها وتخطيها تباعا إلى أن وصل جلجامش الي هدفه وهو ايمانه بان المعرفة تهب الحياة والخلود بمعنى ومذاق جديدين .

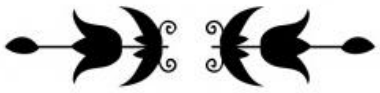

الملحمة السادسة

الكوميديا الإلهية

(الكوميديا الالهية)هي: ملحمة شعرية وتعد الكوميديا الإلهية العمل الرئيس لدانتي وهي من أهم وأبرز الملحمات الشعرية في الأدب الإيطالي الأوروبي .

لقد سيطرت على تلك الفترة التاريخية في إيطاليا صراعات على السلطة بين مجموعتين أساسيتين وهم الغويلفيون (الصنعة والأغنياء الجدد غير المنتمين إلى النبلاء) والغيبيليون (من الطبقة الأرستقراطية وقدامى العائلات الغنية). وقد كانت السلطة للغويلفيين لفترة طويلة، وكان دانتي نفسه صاحب منصب في الحكومة لفترة من الفترات. ولكنّ شقاقًا دبّ في صفوف حزب الغويلفيين جعلهم ينقسمون بينهم إلى طرفين: الغويلفيين البيض (الذين ينتمي إليهم دانتي) والغويلفيين السود. وانتهى الأمر بالبابا بونيفاس الثامن بالانحياز إلى طرف الغويلفيين السود، وكان مصير دانتي النفي من فلورنسا. ولعل هذا ما جعل دانتي يضع البابا بونيفاس الثامن في الجحيم في ملحمته.

مسقط رأس دانتي :

قد كان مسقط رأس الشاعر الإيطالي الشهير "دانتي الليجييري" ب"فلورنسا" سنة ١٢٦٥م والوفاة بمدينة "راڤين" سنة ١٣٢١م.

عدد أسطر الشعر في ملحمة الكوميديا الالهية :

الكوميديا الإلهية ماهي الا قصيدة ملحميّة تتألف من ١٤ ألف سطر شعري تقريبًا تصف رحلة دانتي بين الجحيم والمطهر والفردوس.

وقد بدأ (دانتي) قصيدته بالشعر اللاتيني السادس الأوتاد وتتميز جميع الأجزاء بالإيقاع القوي نظرًا لمقاطعها الموشحية ولكنه استبدل به اللغة الإيطالية، لكي تصل قصيدته إلى عدداً أكبر من القراء. ولعله تأثر في اختياره بقوة عاطفته؛ فقد بدا له أن التعبير عن الانفعال باللغة الإيطالية أيسر منه باللغة اللاتينية التي طال ارتباطها بالحياة المدنية والقيود القديمة.

بدايات دانتي وكتابة الشعر الرومانسي:

وكان في شبابه قد قصرت أشعاره على قصائد الحب ؛ أما الآن وقد جعل موضوعه أسمى فلسف، وهي افتداء البشرية عن طريق الحب، فقد

خطر بباله أن يقدم على التحدث بلغة بلاده. وكان في وقت ماض غير معروف قد بدأ مقالاً لاتينياً لم يتمه سماه في فصاحة اللغة الشعبية، أراد به أن يغري الطبقة المتعلمة بالتوسع في استخدام اللغة القومية. وقد امتدح فيه جزالة اللغة اللاتينية وإحكامها، ولكنه عبر عن أمله في أن تسمو اللغة الإيطالية فوق لهجاتها العامية بفضل أشعار دولة فردريك، والأسلوب الجديد الذي ابتدعه شعراء التسكان واللمبارد القصاصون، فتصبح (كما ورد في المأدبة غاصة بأروع التعابير وأجملها). ولم يكن دانتي نفسه- الذي نعلم عن كبريائه ما نعلم- يتصور أن ملحمته ستجعل اللغة الإيطالية صالحة للتعبير عن أي غرض من الأغراض الأدبية، وأنها لن تكتفي بهذا بل ستسمو بهذه اللغة إلى درجة من العذوبة والرقة قلّما عرف لها العالم مثيلاً. ولم يبذل في إعداد قصيدة ما من الجهد مثل ما بذل دانتي في إعداد قصيدته.

الثالثوث المقدس في عقيدة دانتي :

كانت نزعة إلى التثليث- تعبر عن الثالوث الديني المقدس- وتنم عن ضعف الشاعر هي التي عينت شكل القصيدة فجعلتها مؤلفة من ثلاثة

أناشيد، كل نشيد ثلاث وثلاثون أغنية، تقابل سني حياة المسيح على هذه الأرض، تضاف إليها أغنية أخرى في النشيد الأول فتكون عدتها مائة كاملة. واعتزم أن يكتب كل أغنية في مجموعات كل منها ثلاثة أبيات، يتفق البيت الثاني من كل مجموعة ثلاثة أبيات، يتفق البيت الثاني من كل مجموعة في قافيته مع البيتين الأول والثالث من المجموعة التي بعدها. وليس ثمة ما هو أكثر تكلفاً من هذا، ولكن ما من فن يخلو من التكلف، وخير ما يمكن أن يصنعه الفنان أن يخفي تكلفه؛ وهذه القافية الثلاثية تربط كل أغنية بالتي تليها، وتؤلف منها كلها أغنية واحدة متصلة، تنساب في لغتها الأصلية انسياباً سهلاً على اللسان، ولكنها إذا ترجمت تعثرت وبدت كليلة. ولقد ندد دانتي مقدماً بكل ترجمة لقصيدته، فما من شيء يسري فيه توافق الاتصال الموسيقي يمكن أن ينقل من لغته الأصلية إلى لغة أخرى دون أن يفقد حلاوته وتوافقه .

وكما أن أبيات القصيدة هي التي عينت صورتها، فإن الاستعارات هي التي عينت قصتها، وقد شرح دانتي في الرسالة التي أهدى بها القصيدة إلى كان جراندي ما تنطوي عليه أناشيده من رموز، ولنا أن نظن أن

شرحه هذا فكرة متأخرة لاحت لشاعر كان يريد أن يكون فيلسوفاً، ولكن انهماك العصور الوسطى في الرمزية، وما كان في الكنائس الكبرى من تماثيل رمزية، ومظلمات جيتو، وجادي ورفائيل، وكلها رمزية، وتسامي دانتي الرمزي في الحياة الجديدة والمائدة ، كل هذا يوحي بأن الشاعر كان يفكر في النقط الرئيسية لمشروعه الذي وصفه وصفاً مفصلاً قد يكون خيالاً. ويقول دانتي أن القصيدة تتبع "جنس" الفسلفة، وأن موضوعها هو الأخلاق. وهو يفعل ما يفعله عالم الدين الذي يفسر الكتاب المقدس فيجعل لكلماته ثلاث معاني: الحرفي، والمجازي، والصوفي.

«وموضوع هذه القصيدة حسب معانيها الحرفية... هو حال الأرواح بعد الموت... أما إذا نظرنا إليها نظرة مجازية فإن موضوعها هو الإنسان من حيث تعرضه للثواب والعقاب العادلين الذين يستحقهما بسبب أعماله الطيبة أو الخبيثة.. والغرض المقصود منها في مجموعها وأجزائها هو انتشال من يحيون هذه الحياة مما يعانونه من شقاء، وإرشادهم إلى طريق السعادة.»

وإذا عبّرنا عن هذه المعاني بطريقة أخرى قلنا إن الجحيم هي مرور الإنسان بالخطيئة، والعذاب، واليأس؛ وإن المطهر هو تطهيره عن طريق الإيمان؛ والفردوس هو نجاته عن طريق الوحي الإلهي والحب غير الأناني. وبمثل فرجيل، الذي يقود دانتي خلال الجحيم والمطهر، والمعرفة والعقل،والحكمة. وهي التي تستطيع أن تقودنا إلى أبواب السعادة؛ والإيمان والحب (بيرتيس) وحدهما هما اللذان يدخلاننا فيها. وكان النفي في ملحمة حياة دانتي هو جحيمه، كما كانت دراساته وكتاباته هي مطهرة، وكانت آماله وحبه هما نجاته وسعادته اللتين لم تكن له غيرهما نجاة أو سعادة. ولعل اتخاذ دانتي رمزيته في الفردوس مأخذ الجد الشديد هو الذي يجعل هذا النشيد أكثر أناشيده استعصاء على الفهم كونها ملحمة فلسفية

فكانت شغله الشاغل وسلوته في منفاه، ولم يفرغ منها إلاّ قبل موته بثلاث سنين. وقد لخص فيها حياته، وتعليمه، وآراءه الدينية، وفلسفته؛ ولو أنها احتوت فضلاً عن هذا ما كان في العصور الوسطى من فكاهة، ورقة، وشهوانية عارمة لجاز أن تكون من المؤلفات "الجامعة في

العصور الوسطى". ذلك أن دانتي قد حشر في هذه المائة من الأناشيد المنجزة كل ما أخذه من العلم عن برونتو لاتيني، ولعله حشر فيها أيضاً ما تعلمه في بولونيا- حشر فيها كل ما كان هناك من فلك وعلم الكون، وطبقات الأرض، والتوقيت في عصر تمنعه المشاغل من أن يكون عصر علم. ولم يكن يؤمن فوق ذلك بجميع الأساطير المعماة الملغزة . ويصور دانتي (لله) في ملحمته بأنه نور وحب.. "الحب الذي يحرك الشمس وسائر النجوم" لهو قول أرسطو انتقل إليه عن طريق الفلسفة العربية. وكان يعرف الشيء القليل عن الفارابي، وابن سينا، والغزالي؛ وأبن رشد؛ ويضع ابن رشد في المحيط الخارجي للجحيم، ولكنه يهز مشاعر المتينين بوضعه سيجر البرابنتي معتنق مذهب ابن رشد في الفردوس. وفضلاً عن هذا فهو ينطق تومس بالثناء على الرجل الذي أثار ثائرة هذا العالم الديني الذي يكاد يصل إلى مرتبة الملائكة. غير أنه يبدو أن سيجر أنكر عقيدة الخلود الفردي الذي هو دعامة قصيدة دانتي؛ ولهذا فإما أن يكون التاريخ قد تعالى في وصف سيجر بالزيغ والضلال أو في وصف دانتي بالاستمساك بالدين.

دانتي يستعين بالمصادر الاسلامية في كتابة ملحمته الخالدة:

تؤكد الدراسات الحديثة ما استمده دانتي من المصادر الشرقية وبخاصة المصادر الإسلامية كقصة أردا فيراف التي تصف الصعود إلى السماء، ووصف الجحيم الوارد في القرآن، وقصة المعراج، ووصف الجنة والنار في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري؛ وفتوحات ابن عربي... ففي رسالة الغفران يصور المعري إبليس بعذب في الجحيم وهو مقيد بالأغلال، كما يصور الشعراء المسيحيين وغيرهم من "الكفرة" يعذبون فيها. وتستقبل صاحب القصة عند باب الجنة واحدة من الحور العين، اختيرت لترشده. وقد رسم ابن عربي في الفتوحات الحياة الآخرة رسماً دقيقاً، ووصف الجنة والنار بأنهما فوق بيت المقدس وتحتها مباشرة، وقسم النار والجنة إلى سبع طبقات، وصور مكان الملائكة المسبحين حول النور القدسي- وصف ذلك كله كما ورد في الملهاة المقدسة لا يفترق عنه في شيء (ونقول هنا استطراداً إن ابن عربي كتب قصائد في الحب يفسرها المفسرون تفسيراً مجازياً دينياً)، ومبلغ علمنا أن

شيئاً من هذه الكتابات العربية لم يكن قد ترجم قبل زمان دانتي إلى أية لغة يستطيع قراءتها.

كافة الأديان السماوية تصف الجنة والنار:

وردت في الآداب الدينية اليهودية والمسيحية غير المعترف بها أوصاف لرحلات أو رؤى في الجنة أو النار؛ ولا حاجة بنا إلى ذكر ما ورد في وصفهما في الكتاب السادس من إنياذة فرجيل. وتقول قصة أيرلندية إن القديس باتريك زار المطهر والجحيم، ورأى فيهما أثواباً وأحزمة من نار، والمذنبين معلقين فيها من أرجلهم، أو تلتهمهم الأفاعي أو يغطيهم الجليد. ووصف قس إنجليزي قصاص يدعى آدم ده رس في قصيدة طويلة طواف القديس بولس في النار يقوده الملاك ميخائيل؛ وينطق ميخائيل بوصف مراتب العقاب التي توقع على درجات الذنوب المختلفة، ويظهر بولس وهو يرتجف من هذه الأهوال كما يرتجف منها دانتي وتحدث قبل هذا يواقين الفلوري عن هبوطه إلى الجحيم وصعوده إلى السماء. وجملة القول أنه قد وجدت مئات من هذه الرؤى والقصص؛ وأمام هذا الحشد الكبير من الأوصاف المروعة نرى أنه لم يكن دانتي

بحاجة إلى أن يتخطى الحواجز اللغوية إلى الآداب الإسلامية لكي يجد فيها نماذج لوصف الجحيم. ولقد فعل دانتي ما يفعله كل فنان فمزج ما لديه من مادة وبدل فوضاها نظاماً، ووضعها فوق النار بعد أن أضاف إليها خياله القوي وإخلاصه الملتهب. ولقد أخذ عناصر وصفه أنى وجدها- من تومس، ومن شعراء الفروسية الغزلين، ومن مواعظ بطرس دميان النارية وما ورد فيها من وصف لعذاب الجحيم، ومن تفكيره الطويل في بياتريس في حياتها وبعد موتها، ومن صراعه مع السياسيين والبابوات، ومن العلوم القليلة التي اعترضت طريقه؛ ومن اللاهوت المسيحي وما ورد فيها عن سقوط آدم، وعن التجسد والخطيئة، والغفران، ويوم الحساب؛ ومن الفكرة الأفلوطينية- الأوغسطينية عن مدارج صعود الروح حتى تتحد مع الله. ومن توكيد تومس أن الرؤى الطوباوية هي الهدف الأخير الذي يغتبط به الأبرار؛ من هذا كله صاغ القصيدة التي وجدت فيها روح العصور الوسطى وما يحيط بها من رعب، وأمل، واغتراب صوتاً، ورمزاً، وصورة تعبر بها وتصورها.

ملخص لملحمة (الكوميديا الالهيه):

تبدأ القصّة باستيقاظ دانتي من نوم عميق وهو تائه في غابة مظلمة. وبعد عدة محاولات فاشلة في الهروب يلتقي دانتي بالشاعر فيرجيل، الذي بدوره يخبر دانتي بأنّ الطريق الوحيدة للخروج هي بالعبور من مركز الأرض مرورًا بالجحيم. فيقود فيرجيل دانتي عبر الجحيم فيشاهد فيها مشاهد مرعبة من العذاب ويلتقي فيها بالعديد من الشخصيات التي ذُكرت في الكتاب المقدس والآداب الكلاسيكية.

وتدور ملحمة الكوميديا الإلهية التي كتبت شعراً حول جولة فيما بعد الحياة، أي في الآخرة، بحسب التصورات المسيحية. وتنقسم الكوميديا الإلهية إلى الجحيم والمطْهر والجنة (الفردوس). وسميت بالكوميديا لأنه في القرن الرابع العشر كان الأدب الإيطالي بحسب شروطه ينقسم إلى فئتين : تراجيديا تمثل الأدب الراقي ، وتكتب باللغة الإيطالية الرسمية . والكوميديا التي تمثل الأدب المتدّني ، وتكتب باللغة العامّية ، وتوجه لعامة الشعب .

ويعود الفضل للشاعر والأديب الإيطالي "بوكاس"، الذي جاء من بعد "دانتي" بنحو ربع قرن في إضافة إسم "الإلهية"،لرسالة "الكوميديا" فأصبحت تعرف منذ ذاك الوقت، ب"الكوميديا الإلهية". والنص المرجعي الأساسي، لهذه الرسالة السماوية، المتواجدة بين أيدينا اليوم، يقوم بالأساس على طبعة "ليدوفيكو دولشِ" المنشورة سنة ١٥٥٥م بعامية "فلورانسا". ونذكر بهذا الخصوص، بأن اللغة الدارجة التي حررت بها "الكوميديا الإلهية"، قد عملت على توطيد دعائم عامية "طوسكان"، كلغة إيطالية رسمية ناشئة. أما الجذور الحقيقية لهذه المحاولة اللغوية "الدّانتية" التوحيدية، فتتواجد بجزيرة "صقلية".

متن الملحمة:

تبدأ الملحمة.. بغابة مظلمة، ويمثل ذلك لدانتي إحساسه بالرخص وبساطة حياته مقارنتة بالشر الذي كان يراه في مجتمعه.

وفي يوم جمعة صحو، وبعد ليلة من التجوال المؤلم، يتقابل مع الشاعر الروماني فيرجيل الذي يعده بأن يخرجه من تلك الغابة ويقوده إلى رحلة في العالم الآخر.

يدخلان(دانتي وفرجيل) الجحيم وهوعلى هيئة مخروط عميق في باطن الأرض، وفي الحفرة تسع دوائر، حيث يريان جموعًا من الأفراد، يعانون العذاب الذي تصبه فوق رؤوسهم الوحوش الخرافية، والشياطين والمخلوقات الأخرى، وذلك عقابًا على خطاياهم. والملعونون المعذبون هؤلاء شخصيات تاريخية معروفة جيدًا، بعضها من عصر سابق لدانتي.

دانتي يصف الجحيم ويقول:

« وجدت نفسي وأنا في منتصف طريق حياتنا في غابة مظلمة كانت الجادة فيها غير واضحة ومفقودة » وبينما كان دانتي يتجول في هذه الظلمة إذ التقى (بڤرجيل) أستاذي ومرشدي الذي أخذت عنه وحده الأسلوب الجميل الذي شرفت به.

ويخبره ڤرجيل أن السبيل السليمة الوحيدة للخروج من الغاية هي اجتياز الجحيم والمطهر؛ فإذا ما صحبه دانتي فيهما فسيقوده إلى أبواب الفردوس، "حيث يتولى إرشادك من هو أجدر مني وأكرم". ويضيف إلى هذا في صراحة أنه جاء ليقدم العون إلى الشاعر بأمر بياتريس. ويمران خلال فتحة في سطح الأرض إلى أبواب الجحيم، نقشت عليها هذه الألفاظ

المريرة: "من خلالي يدخل الإنسان المدينة المحزنة؛ ومن خلالي يدخل الإنسان الآلام السرمدية؛ ومن خلالي يدخل الإنسان بين الأجناس الضالة. لقد حركت العدالة خالقي الأعلى؛ وصنعتني القوة الإلهية هي والحكمة العليا والحب الأزلي. ولم يخلق قبلي سوى الأشياء الأزلية، وأنا باقية أبد الدهر؛ فتخلوا عن كل آمالكم يا من تدخلون هذه الدار.

والجحيم فتحة تحت الأرض تمتد إلى مركزها. ويصورها دانتي بخيال قوي يكاد يبلغ الغاية في الاكتئاب: فهي هاوية سحيقة مظلمة مرعبة، بين صخور ضخمة قاتمة؛ تتصاعد من منافذها الأبخرة والروائح الكريهة، وتجتاحها السيول الجارفة، وبها بحيرات ومجار؛ وعواصف من المطر، والثلج، والبرد؛ ومشاعل من لهب؛ وتزمجر فيها الرياح والزمهرير الذي يجمد فيه الدم والجسد؛ وبها أجسام معذبة، ووجوه كالحة مقطبة؛ ويشقها صراخ وأنين يقف لهما الدم في العروق. وفي أعلى مكان في هذه الفتحة الجهنمية يقيم من لم يكونوا أخياراً أو أشراراً، ومن وقفوا على الحياد بين الخير والشر. أولئك يعاقبون بآلام خسيسة، تلسعهم

الزنابير، ويأكلهم الدود، ويحرق قلوبهم الحسد والندم، وهؤلاء يزدريهم دانتي الذي لم يقف على الحياد في يوم من الأيام .

"الرحمة والعدالة تزدريانهم، ونحن لا نتحدث عنهم، بل نلقي نظرة عليهم ونمر بهم". ويعمل الجائلان إلى نهر أكرون في باطن الأرض، ويعبره بهما كارون الذي يعمل في ذلك المكان من أيام هومر فإذا عبراه وجد دانتي نفسه في المحيط الخارجي للجحيم حيث يقيم الصالحون الذين لم يعمدوا، ومنهم فرجيل وجميع الصالحين من عبدة الأوثان، وجميع اليهود الصالحين إلا عدداً قليلاً من أبطال العهد القديم الذين أطلقهم المسيح حين زار هذا المحيط الخارجي ورفعه إلى السماء. وكل ما يعذب به هؤلاء هو رغبتهم الأبدية في مصير خير من مصيرهم، وعلمهم بأنهم من ينالوا هذا المصير. وفي هذا الموضع من الجحيم شعراء وثنيون يعظمهم كل المقيمين فيه – هومر، وهوراس، وأوفد، ولو كان؛ وهؤلاء يرحبون بفرجيل ويحلون دانتي المكان المقدس بينهم، ثم يقول دانتي: وأنظر إلى أعلى "فأرى سيد العارفين يجلس بين أسرة الفلاسفة" أي أرسطو يحيط به سقراط، وأفلاطون، ودمقريطوس، وديجين

وهرقليقوس، وأنكسغوراس وأنبادقليس، وطاليس، وزنون وشيشرون، وسنكا، وإقليدس، وبطليموس، وأبقراط، وجالينوس وابن سينا، وابن رشد"الذي ألف الشرح العظيم"(٤٨). وما من شك في أنه لو كان دانتي مطلق الحرية في رأيه لوضع في الجنة هذه الفئة النبيلة كلها، ومن بينها فلاسفة المسلمين المخالفين له الدين.

ثم يقوده ڤرجيل إلى الدائرة الثانية، حيث تتقاذف الرياح العاتية الذين ارتكبوا خطايا جسدية شهوانية لا يستريحون منها أبداً. وهنا يشاهد دانتي باريس، وهِلِين، وديدو، وسميراميس، وكليوباترا، وترستان، وباولو، وفرانسسكا. وقصة فرانسسكا كما يرويها دانتي تتلخص في أن فرانسسكا دا بولنتا الجميلة أريد لها أن تتزوج جيانسيتو مالا تستتا الشجاع المشوه لتقضي بزواجها على نزاع قام بين أسرة بولنتا سادة رافنا، وأسرة مالتستا سادة ريميني. هذا هو الجزء المؤكد في القصة، أما بقيتها فغير مؤكدة. فهناك رواية يقبلها الكثيرون تقول إن پاولو الوسيم أخا جيان سيتو يدّعي أنه هو الخطيب، وأن فرانسسكا تعاهده على أن تتزوج به، ولكنها تجد في يوم العرس أنها تزف على الرغم منها إلى جيان سيتو.

ثم لا يمضي إلاّ القليل من الوقت حتى تستمتع بحب باولو؛ ويقبض عليها جيان سيتو ويقتلها في تلك اللحظة (حوالي ١٢٦٥). وتُقَص فرانسسكا داريميني قصتها وهي تتأرجح في الريح خيالاً بلا جسد إلى جانب روح حبيبها غير المجسد.

"إن أشد ما يحزن الإنسان أن يذكر أيام الهناء حين يقترب منه الشقاء... كنا في يوم من الأيام نتسلى بقراءة لانسلت، وكيف استبد به الهوى. وكنا في تلك الساعة وحدنا ولا يوجد بالقرب منا ما نرتاب فيه. وكثيراُ ما كانت أعيننا تتبادل النظرات في أثناء هذه القراءة، وذهب اللون من خدودنا وتبدلت صورتها. ثم وقعت أعيينا على نقطة في الكتاب واحدة، وذلك حين وصلنا إلى تلك القبلة المشتهاة التي طبعها في هيامه ونشوته فتى برح به الوجد. وفي تلك اللحظة طبع وهو يرتجف قبلة على شفتيِّ، طبعها ذلك المحب الذي لن يفارقني قط. لقد كان الكتاب وكاتبه كلاهما مبعوثين من عند الحب. ولم نقرأ شيئاً في صحفه بعد ذلك اليوم.

ويتملك الأسى دانتي حين يسمع هذه القصة فيغمى عليه، ثم يفيق فيجد نفسه في الدائرة الثالثة من الجحيم، حيث يستقر من كان ذنبهم النّهم في

حمأة تحت عاصفة دائمة من الثلج، والبرد، والمياه القذرة، وحين ينبح في وجوههم سر بيروس ويمزقهم إرباً بأنيابه الثلاثية. ثم يهبط فرجيل ودانتي إلى الدائرة الرابعة، حيث يقيم أفلوطس؛ وهنا يلتقي المبذرون والبخلاء ويقتتلون، ويلقى بعضهم على بعض أثقالاً ضخمة في حرب سيسفية.

ويسير الشاعران بأزاء نهر استيكس المظلم الذي يغلى ماؤه، حتى يصلا إلى الدائرة الخامسة؛ حيث يقيم من كان ذنبهم الغضب ملطخين بالأقذار، يضربون أنفسهم ويمزقون أجسادهم. والذين كان ذنبهم الكسل والتراخي يغمرون في ماء البحيرة الأستيجية الآسن، وتعلو سطحها الطيفي فقاعات من زفيرهم. وينقل فليجاس على سطح البحيرة حتى يصلا في الدائرة الثالثة إلى مدينة ديس، أو الشيطان، حيث يشوى الملحدون في قبور ملتهبة؛ ثم يهبطان إلى الدائرة السابعة، وهناك يريان من ارتكبوا جرائم العنف تحت راية المنوتور يكادون على الدوام يغرقون في نهر من الدناء مضطرب صاخب، ويرميهم القنطورون بالسهام كلما علت رؤوسهم فوق ماء النهر. ويريان قسم من هذه الدائرة المنتحرين

ومنهم بيرو دل ڤني، وفي قسم آخر يريان من ارتكبوا جرائم العنف ضد الله، أو الطبيعة، أو الفن، يقفون حفاة فوق رمال حامية، وتسقط على رؤوسهم كسف من النار. ويلتقي دانتي بين السدوميين بمعلمه القديم برونتو لاتيني- وهو مصير لا يليق بشخص كان هادياً لدانتي وصديقاً له وفيلسوفاً.

وتظهر عند طرف الدائرة الثامنة هولة مروعة تحمل الشاعرين وتنحدر بهما إلى هاوية المرابين؛ وفي أحد أخوار هذه الهاوية يشاهدان طائفة عجيبة من الآلام السرمدية يعذب بها من يغوون النساء، والمتملقون والمتجرون بالوظائف الدينية. وهؤلاء المتجرون يعلقون من أرجلهم في حفر لا تظهر منها إلا سيقانهم، ويلحس اللهب أقدامهم تدليلاً لهم. ومن بين هؤلاء المتجرين البابا نقولاس الثالث (١٢٧٧ - ١٢٨٠)؛ ويندد دانتي أشد التنديد بسوء أعمال هذا البابا وغيره من البابوات؛ ويصور نقولاس هذا صورة فذة جريئة فيقول إن البابا يحسب أن دانتي هو بنيفاس الثامن (المتوفي عام ١٣٠٣) وأن قدومه إلى الجحيم متوقع في أية لحظة من اللحظات. ويتنبأ نقولاس بأن كلمنت الرابع (المتوفي

عام ١٣١٤) سينضم إليهم بعد زمن قليل. وفي الخور الرابع من الدائرة الثامنة يقيم من يدعون معرفة الغيب، ورءوس أولئك الأقوام مثبتة في أعناقهم ومتجهة نحو ظهورهم. ويطل الشاعران من جسر – "ماليبلج"– فوق الخور الرابع فيريان من تحتهما مختلسي الأموال العامة يسبحون إلى أبد الدهر في بحيرة من القار في درجة الغليان. أما المنافقون فلا ينقطع مرورهم حول الخور السادس في أردية من الرصاص مطلية بالذهب. ويشاهد في الممر الوحيد الذي يخترق هذا الخور قيافي مصلوباً وملقى على الأرض بحيث لا يستطيع أحد اجتياز الطريق إلا إذا وطئ جسده. وفي الخور الرابع يعذب اللصوص بأفاع سامة؛ وهنا يتعرف دانتي على عدد من الفلورنسيين، ويشاهد عقد قائم فوق الخور الثامن لهيباً يحرق جلوده مثيري السوء، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب؛ ويرى من بين هؤلاء أديسيوس المخادع. وفي الخور التاسع يستقر النمامون والعاملون على الانشقاق تنتزع أطرافهم طرفاً بعد طرف.

وفي الخور العاشر من الدائرة الثامنة يرقد المزورون، والمزيفون، والكيميائيون الكاذبون، يئنون من أوجاع مختلفة، وتملأ الهواء من حولهم رائحة كريهة هي رائحة العرق والصديد، وأنين المعذبين يملأ الهواء بأصوات كقصف الرعد.

وينتهي مطاف الشاعرين بالدائرة التاسعة وهي الدرك الأسفل من الجحيم، ومن عجب أن توصف بأنها هوة واسعة من الجليد؛ وفيها يدفن الخونة في الجليد إلى أذقانهم، وتتجمد دموع الألم فتصبح قناعاً متبلوراً فوق وجوههم. ومن بين هؤلاء يرى كونت أجولينو دلا گراردسكا الذي خان بيزا مشدوداً أبد الدهر إلى رجييري كبير الأساقفة، الذي سجنه هو وأبناءه وأحفاده وتركهم كلهم يموتون جوعاً. والآن يستند رأس أجولينو على رأس كبير الأساقفة، ويظل رجييري إلى الأبد يضع رأس أجولينو وفي مركز الأرض أي في قاع فتحة الجحيم الآخذة في الضيق يرقد الشيطان (لوسفر) الجبار مدفوناً في الجليد إلى وسطه يرفرف بجناحين ضخمين مثبتين في كتفيه، ويذرف من وجوهه الثلاثة التي تقسم رأسه

دموعاً من الدم المتجمد من شدة الزمهرير، ويمضغ في كل فك من فكوكه الثلاثة أحد هؤلاء الخونة: بروتس، وكاسيوس، ويهوذا.

وخلاصة القول أن نصف الأهوال التي كانت تزعج الأنفس في العصور الوسطى قد جمعت في هذه القصة الدموية. وكلما أمعن الإنسان في قراءة صحفها الرهيبة ازداد رعباً على رعب حتى تطغى عليه نتيجة هذا الرعب آخر الأمر فلا يعود يطيقها. وإن ذنوب الإنسان وجرائمه في هذا العالم وفي جميع عوالم الكون وسلامه لأقل من غضب الإله وانتقامه بالصورة التي يتخيلها الشاعر. وإن فكرة دانتي عن الجحيم لهي منتهى ما وصل إليه لاهوت العصور الوسطى من فظاعة. لقد كان اليونان والرومان القدامى يصورون جحيماً يسمونها تتلقى جميع الموتى من الآدميين. وكان مقرها مكاناً عظيماً مظلماً تحت الأرض لا يمكن تمييز شيء فيه، ولكنهم لم يصوروا هذه الجحيم بأنها مكان للتعذيب؛ وكان لابد من أن تمر قرون طوال من الهمجية، والاضطراب، والحرب قبل أن يتقول الإنسان على خالقه فيعزو إليه صفتي الانتقام السرمدي.

رؤية للمفكرين العرب حول (ملحمة دانتي):

يرى كثراً من الباحثين العرب وعدداً من الغربيين الذين درسوا التراث العربي، يرون دائماً أن دانتي لا بد من أن يكون استوحى موضوع «الكوميديا» من «رسالة الغفران» لأبي العلاء المعري، طالما أن العملين يصفان معاً، رحلة الشاعر في الحياة الآخرة، ومشاهداته هناك، وطالما أن العملين يعتبران في نهاية الأمر نصاً فلسفياً شاء فيه كل من الشاعرين، العربي والإيطالي على حد سواء، وضع كل تجربته ورؤاه وأحلامه ومسيرته الفكرية، في نص يخلد من بعده. وهذا الأمر يبدو لنا ممكناً بالطبع بل منطقياً خصوصاً أن حجج الذين يجدون بين العملين تشابهاً يشي بأن دانتي استلهم المعري، قوية بالطبع، غير أن ما لا بد من الإشارة إليه هنا هو الاستقلالية التامة، سردياً وفكرياً ومن ناحية الغاية والهدف، لعمل دانتي عن عمل شاعرنا العربي الكبير. إذ حتى وإن كان المنطلق واحداً، فإن «كوميديا» دانتي التي تعتبر عادة، إلى جانب كتابات هوميروس الملحمية ومسرحيات شكسبير ورواية «دون كيشوت» للإسباني سرفانتس، أعظم ما انتجه العقل البشري في مجال الكتابة، هذه

«الكوميديا» عمل قائم في ذاته يصف حقاً، أحوال دانتي وأحوال زمنه ومعارفه، ولكنه في شكل خاص، يتوقف عند حكاية حبه بياتريس ويعتبر حقاً محاولة إحياء على الورق، في الكلام، لذكرى تلك الصبية التي كان الشاعر يحلم بها مذ كان طفلاً في التاسعة وكانت هي في القماط، لكنها بعد زواج قسري، كما يبدو، رحلت الصبية أواخر القرن الثالث عشر ليظل دانتي في حسرة على رحيلها حتى فرّغ حسرته كلها في ذلك العمل الأدبي الخالد، وكأن دانتي، إلى جانب كتابته لتلك «القصيدة» الرائعة، حدد فيها إلى حد ما، وظيفة للإبداع كان علينا انتظار القرن العشرين حتى تتبلور وتتحول من حيّز التطبيق إلى حيّز النظرية: وظيفته كفعل ذهني مواز للحياة معيداً إلى «وجود» متخيّل، أشخاصاً وحكايات كان الفناء من نصيبها في الحياة الواقعية.

دانتي يتأثر بالتراث الاسلامي:

"صقلية" كانت موطنا للعرب المسلمين، لما يقارب ثلاثة مائة سنة (منذ دخول الأغالبة السُّنّيين إليها سنة ٨٢٧م لغاية سقوطها على يد النّورمانديين سنة ١٠٩١م). فقد شهدت تجربة أدبية ونهضة علمية

منقطعة النظير، في ربوع أوربا القرون الوسطى. بالفعل لقد عاد هذا التراث الإسلامي بفضل كبير على بلد إيطاليا، التي لم تكن قد اكتملت وحدتها الترابية آنذاك. فأول محاولة للغة أدبية دارجة صريحة، كانت قد حصلت هنا في جزيرة "صقلية". وكان المؤثر والمولد الأساسي لهذه الظاهرة الأدبية، حسب المصادر الأوربية نفسها، ظاهرة شعراء الشعر الغنائي، الذين أطلق عليهم، في الأدبيات الأوربية الوسيطية، تسمية "طروبادور". وهؤلاء الشعراء يعرفون من قبل خبراء أدبيات القرون الوسطى، بكونهم عربا في الأصل وأن المصطلح اللاتيني "طروبادور هو في الأصل نقلا صوتيا للصيغة العربية "طَرَبُ الدّور". وكان يمثل هذه الظاهرة الغنائية، الشعراء المتجولين من أصول عربية أندلسية، إن لم نقل متوسطية، نسبة إلى مدن البحر الأبيض المتوسط المحيطة بأوربا ك: الأندلس و"صقلية" و"مالطا" و"قشتالة" و"سردينيا" و"كريت"و"باليرمو"، و"تاورمينا"، و"□الياري"، و"قبرص" والجزرالأخرى المحاذية لها.

ولقد ازداد هذا التأثير، في "صقلية" وتوطد، خصوصا إبان حكم الملك الجرماني، الإمبراطور "فريدريك الثاني"، الذي عرف بتأثره الكبير

بالثقافة العربية الإسلامية. ومن هنا، أي من "صقلية" بالذات، انتقلت هذه الشعلة الأدبية نحو وسط إيطاليا فشمالها، لتأثر على كل اللهجات المستعملة. وإذا صح التعبير، على كل المنوعات اللغوية العامية ذات الصبغة الرومانية والأصول اللاتينية، ك:"لومباردي"، "فلورانسا"، "طوسكان" و"البندقية". ولقد حققت بهذه المناسبة، ولادة ما أصبح يسمى آنذاك ب"الأسلوب الجديد". وهنا يظهر "دانتي" على الساحة، كمنظر لغوي لما سيصبح ب"العامية الفصحى". هذه التي ستصبح مع مرور الوقت، القاسم المشترك للشعب الإيطالي بأكمله. إذن فالفضل يعود ل"دانتي"، في وضع الحجر الأساس، للغة إيطالية وطنية موحدة، في زمن كانت اللهجات الرومانية تتقاسم جغرافية إيطاليا تحت سلطة لاتينية الكنيسة الرسمية، التي كانت تدعى ب"لغة النحو والعلوم والآداب". ونلفت الانتباه بأن إيطاليا القرون الوسطى، كانت تتكون من عدة أقاليم ومدن جمهورية، مستقلة كل منهما عن الأخرى. ويقول المؤرخ والباحث الفرنسي "هنري فوثيت" بهذا الخصوص، بأن "دانتي" قد نظم "الكوميديا الإلهية"، بلغة عامية فصيحة، في قالب شعري ثلاثي القافية، بحيث أن

قافية البيت الأول كانت تأتي مناسبة للبيت الثالث، وقافية البيت الثاني، ملائمة للبيت الأول من المجموعة الثلاثية، التي كانت تأتي بعدها. ولقد قسم "دانتي" رسالته الشعرية السماوية، إلى ثلاثة مجموعات غنائية: فصل في الجحيم، وثاني في المطهر وثالث في الفردوس.

- مركز الأرض الثابت في وسط الكون، ومن حوله تدور السماوات السبع:
- سماء النجوم الثابتة.
- المتحرك الأول، ومن دونه يوجد موطن الآلهة.

ويتواجد الشيطان الأكبر في وسط الأرض، تحت مدينة القدس، حيث يتمركز الجحيم. وتتفرع عن هذا الجحيم، خمس دوائر تتواجد عند مدخل المدينة الإلهية، وأربعة أخرى تقع خارجها. كما ثمة طرق تقود، من مقام الشيطان، بشكل معاكس، لمدينة القدس حيث يرتفع المطهر، الذي يشتمل على:

- شط الجزيرة.
- ما قبل المطهر.
- والسطوح السبعة.

وعلى قمة المطهر تتواجد جنة عدن. وهذا المطهر، يمثل مسرحا رهيبا، لكل من المتكبرين، والحاسدين وأصحاب الشره والنهم. لكن من أجل البلوغ إلى رؤية الإشعاع الإلهي، عليه أولا أن يتجاوز نهر النسيان رفقة المرشدة "بياتريس". وهكذا يصعد معها متجاوزا تسعة أفلاك. وهذه الأفلاك تأتي بعد: القمر، عطارد، الزهرة، الشمس، المريخ، المشترى، زحل، النجوم الثابتة، فالمقام الإلهي، أو سدرة المنتهى، حيث الإشعاع الإلهي. ومراتب هذه السماوات هي في الواقع الدانتي تمثيل للمراتب البشرية: أرواح بارة، أرواح خيرة، أرواح زاهدة، أرواح ذكية، أرواح شهيدة، أرواح عادلة، أرواح متصوفة، فمقام المسيح، ثم أخيرا، الإشعاع الإلهي.

وتستهل هذه الرسالة الإلهية بالأبيات التي ينشدها "دانتي" قائلا:" حين وصلت إلى منعطف طريق الحياة، وجدت نفسي في وسط غابة قاتمة. لقد أضعت الطريق السوي، ولست أدري كيف وصلت إلى هنا. لقد كنت مثقلا بالسهاد، حين فجأة تهت وضللت طريقي...". وهكذا فسرت هذه الكوميديا من موقعها الخارجي باعتبارها قصة رمزية تمثيلية لاعتناق

"دانتي" للمسيحية من جديد خروجا من حالة الخطيئة الأولى، عبر التضرع وطلب المغفرة لغاية الوصول إلى حالة الصفاء والتحرر، من الأدران البشرية لرؤية الثالوث المقدس.

وبالإمكان تلخيص هذه الرسالة السماوية بمجملها- متجاوزين لكل التفاصيل- فيما يلي: إن الوظيفة الأساسية للنص الشعري، الذي يؤسس مجمل بناء الكوميديا، بإمكاننا اختزالها في بضعة فقرات، فيما يتعلق بالمعنى الحرفي لها. فالشاعر "دانتي"، قد تواجد تائها في غابة قاتمة، وحاول عبثا أن يستدل على الطريق الصحيح. وفي حين حاول أن يتوجه صاعدا نحو تلة مشمسة، وجد نفسه أمام وحوش ضارية في وادي الظلال. حينئذ ظهر منقذ له في شخص الأديب الملحمي الإيطالي الشهير "ڤرجيل" صاحب ملحمة "الإنيادة". ولقد قاده كمرشد عبر طرق ملتوية نحو غايته. ولقد قاده في زيارة للمحكوم عليهم بالعذاب الأبدي في الجحيم، وصعد به فيما بعد، إلى جبل المطهر لغاية الفردوس. وهنا انتهت مهمته كمرشد، ليظهر مرشد ثاني في شخص "بياتريس"، هذه التي ستقوده من جديد، من سماء لأخرى الى ان يصلوا جنة الخلد ورؤية النور الإلهي.

الفهرس

م	العنوان	رقم الصفحة
١	المقدمة	١
٢	الإلياذة أو ملحمة طروادة الخالدة	٣
٣	الأوديسة	٢٢
٤	الانيادة اللاتينية.. لفرجيل	٢٨
٥	الشهنامة الفارسية	٣٨
٦	ملحمة جلجامش	٤٩
٧	الكوميديا الإلهية	٧١